حب لايموت

قصص

سعاد عبدالله

سنابل للكتاب

٥ ش صبرى أبو علم
باب اللوق ـ القاهرة

الإدارة:
(+٢٠٢) ٢٣ ٩٢ ٦٥ ٩٣
(+٢٠٢) ٠١٠٠١٠٩٤٣٠٢

المكتبة:
(+٢٠٢) ٢٣ ٩٣ ٥٦ ٥٦

E-mail

Ahmed_mmorgan@yahoo.com
Face: sanabil bookshop

المدير العام
أحمد مرجان

اسم الكتاب:

حب لا يموت

تاليف:

سعاد عبد الله

رقم الإيداع: ١٥٠٤٨ / ٢٠١٩

الترقيم الدولى: 978-977-5255-69-3

حقوق الطبع محفوظة للناشر

حب لايموت

مطاردة

فى هذا اليوم من منتصف ديسمبر، لم تكن الغيوم المنتشرة على صفحة السماء تحجب الشمس تماما وتمنعها من الظهور، لكن قسطا لابأس به من أشعتها تمكن من الوصول إلى الأرض، وأشاع فى الكون شيئا من الدفء والضياء.

لم يمنع هذا الشمس من أن تتغلب على الغيوم، وأن تقهرها، وأن تكسو بأشعتها الأرض وما عليها، وأن تظل ساطعة إلى أن تأتى الغيوم وتخفى جزءا منها مرة أخرى، وبدا الأمر كأن الشمس والغيوم اشتركا فى سباق يريد فيه كل منهما أن يفرض بقاءه على الكون أطول وقت ممكن.

وفى بقعة من شارع مهران حسن فى حى روض الفرج، انطلق مكبر الصوت فى صحن مسجد الحاج على صالح بصوت الشيخ عبد المولى إمام المسجد يعلن انتهاء صلاة الظهر، وردد المصلون ماقال الإمام بصوت خافت لايكاد يبين.

وكان عبد المولى راكعا على ركبتيه، ومتجها بوجهه إلى القبلة، والمصلون خلفه فى مثل هيئته، وقد انتظموا فى صفوف بدا كل صف منها وكأنه خط مستقيم.

فى الحال اضطربت الصفوف، وتفرق المصلون وانفرط عقدهم كما تنفرط حبات عقد قطع خيطه فجأة، فانصرف معظم المصلين وذهب عدد منهم إلى عبد المولى وقد وقف يستقبلهم وعلى شفتيه ابتسامة ترحيب، وما لبث أن شغل بتوضيح ماغمض عليهم فهمه من أمور دينهم ودنياهم، وأخذوا ينصرفون تباعا إلى أن انصرف آخر شخص.

وبعد فترة وجيزة، كان عبد المولى فى طريقه إلى باب المسجد ليغادر، لكنه رأى طفلا رث الثياب لم يتجاوز الخامسة من عمره ينظر إليه فى حزن وانكسار.

تعجب عبد المولى فى نفسه، وذهب إلى الطفل، ووقف قبالته، ووضع يده على كتفه بحنان وسأله عن اسمه، وبعد أن أجاب الطفل بأن اسمه أيمن، تسائل عبد المولى:

- لماذا لم تذهب مع أبيك؟

أجاب الطفل:

- أنت جدى.. أريد أن أذهب معك إلى المنزل وأن أعيش معك.. و...و...

لم يستطع عبد المولى أن يفهم كلمة واحدة مما فاه به الطفل بعد ذلك، فقد استولى عليه شعور بالدهشة والاستغراب جعل الكلمات تختلط حروفها وتمتزج معانيها فى ذهنه وتتحول إلى مايشبه الضجيج.

أفاق عبد المولى من دهشته بعد هنيهات، وأشار إلى مغاورى عامل المسجد بأن يذهب إليه، وكان واقفا على بعد خطوة من الباب فى حالة تأهب لأن يغلقه بعد ذهاب عبد المولى والطفل.

ترك مغاورى الباب، وذهب إلى عبد المولى وسأله عما يريد، فأخبره عبد المولى بما حدث من أيمن، وأنه لابد أن يكون من سكان المنطقة وضل الطريق إلى أسرته، ونصحه بأن يصحبه إلى أن يوصله إلى ذويه، وسار متجها صوب باب المسجد.

مال عبد المولى تجاه أيمن، ووضع يده اليمنى على كتفه بحنان، وتحدث إليه ليعرف اسم أبيه وعنوانه، لكن الطفل أزاح يد مغاورى جانبا، وأسرع مهرولا إلى عبد المولى وأمسك يده ليرافقه، فتوقف عبد المولى عن السير، ونصحه بأن يذهب إلى أسرته، وأتى مغاورى وأعاد الكرة مرة أخرى دون جدوى.

وكان أيمن قد ضاق بمحاولات كل من الرجلين، فأزاح يد عبد المولى عن كتفه فى شئ من العنف والغضب،

وقال باحتداد:

- لن أعود إلى منزلى.. لن يبحث عنى أحد.. إننى بلا منزل وبلا أهل وبلا أقارب وأقيم فى الشارع على الرصيف.

وانفجر أيمن فى بكاء مرير جعل قلب كل من الرجلين كاد ينفطر من الحزن والتأثر، واستولى على كل منهما الشعور بالحيرة والضيق، وألحت على ذهن عبد المولى أسئلة عديدة عن هؤلاء الأطفال الذين ينجبهم آباء وأمهات لايملكون أدنى إحساس بالمسئولية أو الشعور بالإنسانية إلى حد أنهم يريدون أن يجعلوا غيرهم يتحمل تبعة أفعالهم.

وقد انتزع عبد المولى ذهنه من أفكاره عندما بلغ أذنيه صوت مغاورى قائلا:

- أريد أن أغلق باب المسجد، لدى كثير من الأعمال يجب أن أؤديها وأن أعود إلى المسجد قبل صلاة العصر.

فكر عبد المولى برهة. ثم قال:

- هيا نغادر المسجد.

وسار صوب الباب، وتبعه مغاورى فى صمت، وسار أيمن وراء مغاورى فى ضيق وتردد، ثم أسرع فى سيره إلى أن لحق بعبد المولى وسار بجواره. وقال:

- سأذهب معك إلى منزلك.. أمى البديلة أمرتنى أن أذهب إلى جدى.

ولاذ بالصمت غير أنه جاهد لكى يمسك بيد عبد المولى، ولكن يده الصغيرة لم تتمكن من أن تضم راحة يد عبد المولى

فاكتفى بأن تقبض قبضة يده على إصبعين فقط، واستطرد قائلا:

- وأنت جدى.

جذب عبد المولى يده من يد أيمن بسرعة، وكأنه يبعد يده عن نيران اتقدت فجأة ومست يده قبل أن يستطيع أن يسحبها، وقال:

- أنا لست جدك. عد إلى منزلك وستجد جدك جالسا ينتظرك.

وكاد عبد المولى يهرول فى سيره إلى أن غادرالمسجد وسار فى الشارع بضع خطوات، وظل أيمن سائرا بجواره لايريد أن يفارقه، فتفاقم ضيقه وأخذ يفكر فى وسيلة لإبعاد أيمن.

توقف عبد المولى عن السير، فتوقف أيمن أيضا، وأخرج عبد المولى من جيب جلبابه ورقة مالية، ومد يده بها إلى أيمن، وقال ليغريه:

- خذ هذه النقود واذهب بها إلى أمك واطلب منها أن تبتاع لك حلوى.

أخذ أيمن النقود من يد عبد المولى وكأنه يختطفها، ووضعها فى جيب سرواله فى حرص وحذر، ووضع يده

اليمنى على جيبه ممسكا بها وكأنه يخشى أن تقفز من جيبه، وظل واقفا فى مكانه وكأنه قد تسمر بالأرض.

بعد لحظة، أتى بائع العرقسوس رافعا عقيرته بندائه الجهورى الجميل الذى يتغنى فيه بفوائد العرقسوس على وقع الأنغام الموسيقية المنبعثة من الصاجات النحاسية التى يحركها بأصابعه.

اغتنم عبد المولى الفرصة، ونادى على بائع العرقسوس وطلب منه أن يعطى كوبا لأيمن، فشغل الطفل بالعرقسوس، وفر عبد المولى هاربا.

بعد قليل، انعطف عبد المولى إلى الحارة التى يقع منزله قرب نهايتها، فأحس بشئ من الطمأنينة والارتياح، وتبدد كثير من التجهم الذى اعتلى وجهه.

شعر عبد المولى بمن يجذب جلبابه من الخلف، فالتفت فى الحال، ورأى أيمن ينظر إليه فى غضب وعتاب، فشعر عبد المولى بغضب وضيق شديدين، وكاد يجذب جلبابه بقوة، غير أنه خاف أن يتمزق، فأفلت الجلباب من يد أيمن برفق، وتمالك سيطرته على أعصابه، وفى نبرات صوت امتزج بها شئ من الاحتداد. قال:

- اذهب إلى أهلك.. ماشأنك بى؟ إننى لاأعرفك.

قال أيمن بثقة واعتداد:

- لكننى أعرفك وهذا يكفى.

قال عبد المولى فى شئ من الاعتداد:

- لا أريد أن أعرفك دعنى وشأنى.

قال أيمن بنفس الثقة والاعتداد:

- لن أدعك.. أنت جدى الذى أبحث عنه.

وصمت لحظة استطرد بعدها فى نبرات صوت تنطوى على التهديد والوعيد قائلا:

- وإلاّ سوف.....

وغمغم أيمن بكلمات مقتضبة لم يفهم منها عبد المولى شيئا، فانتابه الشعور بالدهشة والتعجب رغم تظاهره بعدم الاهتمام ولم ينبس ببنت شفة.

وانخرط الطفل فى البكاء بصوت عال وبحرقة أثارا انتباه عددا من المارة، وأتى ثلاثة رجال أحاطوا به وحاولوا تهدئته إلى أن تمكنوا من ذلك، واستدار عبد المولى ليذهب، فاستوقفه أحدهم بأن جذبه من ذراعه الأيمن فى شئ من القوة، فوقف فى مكانه وجاهد لكى يتمالك السيطرة على أعصابه.

وسأل أحد الرجال أيمن عما يبكيه فروى ماحدث وكأنه يشكو إليهم ما فعل عبد المولى. عندئذ تفاقم شعور عبد المولى بالغضب والضيق، ونفى عن نفسه تهمة وجود مايربطه بأيمن.

تبادل الرجال الثلاثة نظرات حاول عبد المولى أن يفهم مغزاها ولم يستطع، ثم تقدم أحدهم خطوة ناحية عبد

المولى وألقى خطبة عن أهمية أن يهتم الرجل بشئون أبنائه وأحفاده، وأكد كلماته بآيات من الذكر الحكيم وحديثين نبويين بلهجة ركيكة تشى بجهله، وأراد أن يقنع عبد المولى بما قال، وعندما لم يلق استجابة قال ليستميله:

- أنت رجل عاقل ومحترم. لماذا تلقى بحفيدك إلى الطريق؟!

وأشار تجاه أيمن، واستطرد:

- ماذا يفعل هذا الطفل البائس المسكين إذا لم يجد جدا محترما مثلك يعتنى به ويرعاه؟

وبسرعة أعطى الرجل ورقة وقلما لعبد المولى ورجاه أن يوقع على الورقة ويغريه بأن الله سوف يثيبه على هذا العمل الصالح.

جرت عينا عبد المولى بسرعة على الورقة يقرأها ويعلم فحواها، وأدرك أن الرجل يريد أن يتعهد عبد المولى بتربية أيمن والاهتمام به ورعايته إلى أن يبلغ سن الرشد.

وقع الأمر على عبد المولى كالصاعقة، وكاد يجن من هول المفاجأة، واشترك الرجال الثلاثة فى إغراء عبد المولى بالتوقيع على الورقة دون جدوى، ورسم عبد المولى على شفتيه ابتسامة توحى بما يعتمل فى صدره من مشاعر الغضب والضيق، وأزاح اليد التى امتدت إليه بالورقة والقلم جانبا، وسار مبتعدا عنهم بسرعة وكأنه يهرول فى سيره.

ذكرى

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحا بقليل، عندما وصلت فاطمة بسيارتها الملاكى إلى ميدان "عبده باشا"، وانعطفت السيارة إلى اليمين، وسارت عدة أمتار فى شارع يقع على ناصيته مكتب بريد العباسية، ثم أخذت السيارة تقل سرعتها تدريجيا إلى أن وقفت أمام باب مديرية التربية والتعليم.

نظر محسن إلى فاطمة، وكانت جالسة إلى يمين مقعد القيادة، وقال بصوت خافت وبنبرات صوت امتزجت بالحنان:

- انتظرى ياأمى.

مد محسن يده وفتح الباب الذى على يسار عجلة القيادة، وهبط من السيارة، ودار حول مقدمتها وذهب إلى الباب الأيمن وفتحه، وعاون فاطمة على الهبوط، وأغلق الباب، وقفت فاطمة على بعد خطوات قليلة من السيارة حاملة حقيبة يدها وحقيبة أوراقها، بينما عاد محسن إلى السيارة ليحكم إغلاقها.

عاد محسن إلى فاطمة بعد لحظات، وسار الإثنان بخطى وئيدة ذاهبين إلى باب المديرية، وعرجا فى طريقهما على موظف الاستعلامات، ثم اتجها إلى الدرج، وحانت من فاطمة التفاتة نحو الباب الآخر الذى يؤدى إلى الفناء، ونظرت إلى المبنى الصغير الأصفر اللون المكون من طابقين، ووضعت على واجهته لافتة كتب عليها "تنسيق الوظائف الإشرافية".

عندئذ طفت على صفحة ذهن فاطمة ذكرى أليمة لاتريد أن تبرحه رغم مرور أكثر من خمسة أعوام على حدوثها، ورأت فاطمة على صفحة خيالها صورة مديرة تنسيق الوظائف الإشرافية آنذاك وكأنها تشاهد شريط فيلم سينمائى، ورن فى أذنيها صوتها الخافت الرقيق عندما قالت فى أدب مفتعل:

- فى الواقع ياأستاذة فاطمة أنت نجحت فى تدريب مديرة مدرسة إعدادية.. بل كنت الأولى على دفعتك.. لكن، ليس لك الحق فى أن تتولى مهام القيام بهذه الوظيفة....

لاذت بالصمت برهة. ثم أردفت فى شئ من التردد:

- لكى تتولى هذا المنصب يجب أن تكونى...

وغمغمت ببضع كلمات لم تفهم فاطمة منها حرفا واحدا، ثم أردفت:

- هم أكثر منك استحقاقا لهذا المنصب. إنك...

فى هذه اللحظة، استولى على فاطمة شعور يشبه شعور من انقض عليه أحد الطيور الأسطورية الجارحة الضخمة،

وأخذ يمزق جسده إربا إربا بلا هوادة ولا رحمة، وجاهدت لكى تستجمع شتات نفسها، وعندما استطاعت أن تستعيد قسطا قليلا فاهت ببضع كلمات تؤكد بها رغبتها فى تولى هذا المنصب، فانطلقت ألفاظ السباب والاتهامات من أفواه الموظفات كما ينطلق الرصاص من فوهة مدفع سريع الطلقات، وألفت فاطمة نفسها واقفة قرب منتصف الحجرة والكلمات تنهال عليها من كل جانب كما ينهال المطر الغزير، فلاذت بالصمت وغادرت الحجرة بسرعة.

ذهبت فاطمة إلى مديرة شئون العاملين وشكت لها ماحدث، فأيدت موقف زميلتها، وأغرتها بمزايا العمل الذى أسند إليها أداؤه، ونصحتها بأن تقبله لأن لايوجد مجال للتغيير.

وبعد محاولات يائسة اضطرت فاطمة إلى أن تتسلم العمل الذى تمارسه فى الوقت الحالى، والذى أدى ضيقها به إلى إصابتها بالمرض النفسى الذى تعانى منه،والحصول على أجازات مرضية متلاحقة، استمرت أعوامًا.

مالبثت أن اختفت صورة مديرة الوظائف الإشرافية من على صفحة خيال فاطمة، غير أن صوتها أخذ يتردد رنينه فى أذنى فاطمة بشدة أخذت تزداد رويدا رويدا إلى أن صارت طنينا لاقدرة لها على احتماله، وأحست بآلام صداع لايطاق، فاضطربت وضغطت براحتى يديها على أذنيها، ولم يتوقف الصوت، ومالبثت أن فقدت توازنها وسقطت على الأرض مغشيا عليها.

شعر محسن بانزعاج شديد وشحب وجهه حتى كاد يحاكى وجوه الموتى، وطلب من شاب سار على مقربة منه أن يأتى له بمقعد، وحاول أن يجعل فاطمة تفيق من غيبوبتها.

عاد الشاب بعد لحظات حاملا المقعد، ووضعه على مقربة من فاطمة، وعاون محسن على أن يجلساها على المقعد، وأتى شخصان آخران عاوناهما، فجلست فاطمة والتفوا بها بانتباه حتى لاتسقط على الأرض، وأتى طبيب، وبدأ فى العمل على إفاقتها، وانصرف الشاب والشخصين الآخرين بعد أن عادت فاطمة إلى وعيها.

بعد فترة قصيرة، تناولت فاطمة حقيبتها وحقيبة أوراقها من يد محسن، ورجته أن يعينها على النهوض، فاستندت إلى ذراعه، وسارا فى الممر بخطى بطيئة.

وقفت فاطمة قبالة موظف بسكرتارية مدير المديرية وقدمت له طلبا للنقل إلى عمل بإدارة أخرى،

ووضحت له ماتريد، وطلبت منه الحصول على تأشيرة موافقة مدير المديرية.

أعاد الموظف الطلب إلى فاطمة فى شئ من الاشمئزاز وقال:

- ممنوع النقل أثناء العام الدراسى.

- لدى ظروف تمنعنى من الاستمرار فى العمل.

- ليكن، انتظرى إلى أن ينتهى العام الدراسى.

تجهم وجه فاطمة قليلا، وكان محسن واقفا على يمينها، فمسك يد الموظف برفق وسار مبتعدا بضع خطوات والموظف يتبعه فى شئ من الاستغراب، وعندما وقفا أخبره فى همس بحالتها الصحية، فمس ذلك وترا حساسا فى صدر الموظف، ووافق على أن يعرض الطلب على مديرة المديرية، فأعطاه محسن الطلب فى رجاء، وهو يقدم إليه آيات الشكر والامتنان.

أثناء ذلك، فتح باب حجرة مكتب مديرة المديرية، وغادر شخص الحجرة، وترك الباب مواربا، فدفع حب الاستطلاع فاطمة إلى أن تختلس نظرة إلى داخل الحجرة، وهالها ما رأت، فتجهم وجهها فجأة، واستعرت فى صدرها نيران الغضب، واختطفت الطلب من يد الموظف ومزقته، وألقت به فى حقيبتها وغادرت المكتب، بينما حملق الموظف إليها فى ذهول إلى أن غابت عن عينيه.

تبعها محسن فى دهشة، ولحق بها فى الممر خارج المكتب، وألح عليها بالأسئلة ليعرف سبب ماحدث، فلم تجب فاطمة، فسار محسن إلى جوارها فى صمت رغم ماستولى عليه من دهشة وحيرة.

وداهمتها النوبة مرة أخرى، فضغطت براحتى يديها على أذنيها بشدة، وحمل محسن عنها حقيبة الأوراق. ونصحها بأن تنتظر برهة إلى أن تستريح فرفضت وتظاهرت بالقوة رغم أن مظهرها يوحى بغير ذلك، فكادت تهتز فى سيرها مما جعلها تستند إلى ذراع محسن وتتشبث به بقوة وكأنه طوق نجاة يحميها من السقوط.

وبعد قليل، كانت فاطمة جالسة بالسيارة، عندما وقف محسن على قيد بضعة أمتار منها يتحدث إلى الطبيب بالهاتف المحمول، يخبره بأن فاطمة أصيبت بالمرض من جديد.

وكان الطبيب فى الزيارة الأخيرة قد أخبر محسن بأن فاطمة شفيت من المرض، فتعجب فى نفسه، وأدرك أن المريضة من المؤكد أنها تعرضت لصدمة، فطلب من محسن أن يزوره بالعيادة برفقة والدته فى المساء، وأن يخبره بكل ماحدث.

عاد محسن إلى السيارة ساهما، وسألته فاطمة عن المكالمة الهاتفية، فأخبرها بأنه اتصل بزميله ليخبره

بأنه لن يستطيع الذهاب إلى العمل فى هذا اليوم، وقاد السيارة، وانطلقت بهما فى شوارع القاهرة المزدحمة فى طريق العودة إلى المنزل بشارع روض الفرج.

وكان الليل قد أرخى سدوله على الكون، وكسا المرئيات بأردية كثيفة يبدد بعض ظلامها الإضاءة المنبعثة من المصابيح بالمنازل والمحلات، عندما ذهبت فاطمة ومحسن إلى عيادة الطبيب.

أوشكت عقارب الساعة أن تشير إلى العاشرة، عندما جلست فاطمة على مقعد أمام مكتب الطبيب، سألها الطبيب عما تشعر به وبعد أن أجابت، طلب منها أن تروى له مافعلت فى ذلك اليوم، فقصت على مسمعيه كل ماحدث بالتفصيل.

اعتدل الطبيب فى جلسته، وفكر برهة، ثم تساءل:

- صفى لى شعورك عندما اختلست النظر من الباب الموارب.

اعتدلت فاطمة فى جلستها، و فى نبرات صوت عميقة كأنها انتزعتها من أعماق نفسها انتزاعا. أجابت:

- ما أن نظرت إلى داخل الحجرة ورأيت السيدة الجالسة على مقعد مدير المديرية حتى شعرت كأن سكينا حادة انغرس نصلها فى أحشائى بقوة، كانت

مديرية المديرية هى شاهيناز مديرة تنسيق الوظائف الإشرافية التى حذفت اسمى من كشوف الترقية إلى مديرين بالإعدادى، وأدرجته بكشوف أسماء الذين تمت ترقيتهم إلى رؤساء أقسام.

لاحت على وجه الطبيب آيات الحيرة، ولاذ بالصمت إلى أن فرغت فاطمة من حديثها وتساءل:

- لماذا أخفيت الأمر عن ابنك محسن؟

أجابت فاطمة:

- ابنى محسن مهندس شاب فى بداية حياته العملية، لم أرد أن يشعر بصدمة.

فكر الطبيب برهة وسألها عما انتوت أن تفعل، وشعر بالضيق عندما رأى أنها فى حيرة من أمرها، وأنها لا تطيق الذهاب إلى العمل بالإدارة التى ظلمتها، ولا تطيق الذهاب إلى المديرية لتنقل.

لاح التصميم على وجه الطبيب، وقال بثقة:

- سوف تتركين عملك وستذهبين إلى إدارة أخرى.

تساءلت فاطمة فى عدم تصديق:

- كيف ؟

- هذا شأنى.

وتناول التذكرة من فوق المكتب، وكتب عليها بضع كلمات، أعطاها لفاطمة وقال:

- كرري العلاج، وابتعدى عن كل ما يسبب لك الضيق أو الانفعال، تصحبك السلامة.

شكرته فاطمة وهى تنهض، وسارت متجهة صوب الباب، وبلغ أذنيها صوت الطبيب يقول:

- أرجو أن ترسلى إلىّ المهندس محسن.

- أمرك.

وعندما وقف محسن قبالة الطبيب وسأله عما يريد، كان الطبيب قد أوشك على الانتهاء من كتابة تقرير عن حالة فاطمة، فوقف برهة ينتظر.

أعطى الطبيب التقرير لمحسن، وطلب منه أن يقدم الطلب إلى المديرية وأن يرفق به هذا التقرير، سر محسن أيما سرور، وانساب فى جوفه جرعة كبيرة من الطمأنينة والارتياح، ووضع التقرير داخل حقيبة أوراقه، وبلغ أذنيه صوت الطبيب يقول:

- لاتحدثها عن هذا التقرير.

- أمرك.

وشكر الطبيب وسار متجها صوب الباب.

حب لايموت

أسرع علاء فى خطوه وهو يسير فى الطريق المؤدى إلى منزله بشارع روض الفرج، ولم تكن اللفافة الصغيرة التى حملها فى يده اليمنى تعوقه عن السير، وكانت شدة حرارة الشمس نقصت قليلا لأن الساعة تجاوزت الرابعة عصرا ببضع دقائق.

ما أن فتح علاء باب الشقة بمفتاحه الخاص، ودلف من الباب، حتى تناهى إلى سمعه صوت أبيه من الردهة متسائلا:

- هل أحضرت الدواء ياعلاء؟

أجاب علاء، وهو يغلق باب الشقة:

- أجل يا أبى.

واستدار، وسار فى الردهة ذاهبا إلى أبيه.

وكان الأب جالسا على مقعد يشاهد برنامجا فى التلفاز، وجلست زوجته أم علاء على مقربة منه تتابع مايحدث عن كثب، وعلى شفتيها ابتسامة تشى بحبها لولدها.

أعطى علاء اللفافة لأبيه، وتمنى له الشفاء العاجل، فشكر الأب ولده، ودعا الله أن ينعم على علاء بسعة الرزق، وأن يرزقه بزوجة صالحة تنجب له ذرية صالحة.

مس ذلك وترا حساسا فى قلب علاء، فتمنى أن يحقق له الله دعاء أبيه، وشكر أباه، وداعب أمه ببضع كلمات، فابتسمت فى حبور، وسار ذاهبا إلى حجرته.

بعد فترة وجيزة، كان علاء جالسا على مقعد بحجرته يطلب رقما فى الهاتف المحمول، وجعل الهاتف ملامسا لأذنه اليمنى وأصغى بانتباه.

ردت عبير على المتحدث بنبرات صوت رقيق، امتزجت به مسحة من الحزن جعلته أكثر تأثيرا وجاذبية، وبعد أن تبادلا السؤال عن الصحة والأحوال، قال علاء فى شئ من التردد:

- أرجو أن تحددى لى موعدا للقاء.. يجب أن نلتقى لكى....

قاطعته عبير قائلة باقتضاب:

- ليس الآن.. تصحبك السلامة.

صك أذنى علاء صوت إنهاء المكالمة، فأعاد الاتصال بعبير، وعندما أجابت بادرها قائلا:

- يسرنى أن نلتقى بعد كل هذه الأعوام، أرجوك.. حددى لى الموعد المناسب والمكان.

- فيما بعد.. سأخبرك فيما بعد.

وبعد إلحاح شديد نجح علاء فى الحصول على موعد للقاء، فكاد يطير من الفرحة، وشعر أن الزمن عاد به إلى الوراء قرابة سبعة أعوام.

شعرت عبير بالتعجب والدهشة لأن علاء مازال يذكرها بعد فراق زاد على سبعة أعوام عقب تخرجهما من قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب، وشغلت عبير بالتفكير فى السبب الذى يريد علاء أن يلقاها من أجله، وعندما لم تجد سببا استولت عليها الحيرة، لأن أخباره انقطعت عنها طوال الأعوام السبعة الماضية، وخيل إليها أنها لن تراه مرة أخرى، فجأة ألح على ذهنها تساؤل: "هل ياترى يريد إحياء الود القديم؟"

قطع حبل أفكارها سماع صرير باب حجرة، يعقبه وقع خطى سريعة تقترب من باب حجرتها، فى الحال نفضت عبير عن ذهنها التفكير فى علاء، وانداحت فى جوفها موجة من الحنان، فابتسمت.

دلفت نهى إلى حجرة عبير فى خفة الفراشة، وجلست على الأريكة إلى جوار عبير، ودار بينها وبين عبير حديث قصير، انتهى بأن طلبت من عبير نقودا تشترى بها مايلزمها، فأعطتها عبير ماطلبت عن طيب خاطر.

قبل ميعاد اللقاء بدقائق، كان علاء جالسا خلف منضدة بكازينو النهر يرقب وصول عبير فى قلق وترقب، ولمحها فجأة قادمة فى الممر، فشعر بفرحة غامرة، ورفع يده اليمنى بسرعة لكى تراه، فأبصرته على الفور وسارت متجهة نحوه، وقد توجت شفتيها ابتسامة رائعة زادتها جمالا وجاذبية.

صافحها علاء بحرارة وحماسة، وبعد أن جلست على مقعد قبالته، وتبادلا الحديث عن بعض شئون الحياة اليومية، انتابه الشعور بألفة وطمأنينة جعلاه يمحو من ذاكرته أعوام الفرقة، وشعر بأنهما لم يفترقا إلا فى الأمس القريب.

وبينما هما يتحدثان مرت فى الشارع خارج الكازينو مظاهرة، طالب فيها المتظاهرون بسقوط حكم (....)، عندئذ ساد الصمت جميع أرجاء الكازينو، وأصغى الحاضرون إلى الهتاف، وقد استبد بهم الشعور بالقلق والتوتر، ولاح على وجوههم التجهم والضيق، وظل أثر هذا الشعور باقيا حتى بعد أن ابتعد المتظاهرون، وتلاشى صوت هتافهم، وأراد علاء أن يبدد الصمت والوجوم اللذين رانا على جو المكان، فأشار إلى النادل لكى يذهب إليهما.

رشفت عبير الجرعة الأخيرة فى كوب العصير، ووضعت الكوب على الصينية القابعة على المنضدة

أمامها، وشكرت علاء، وكان مستغرقا فى التفكير، فاحترمت صمته، ولاذت بالصمت برهة شغلت خلالها بتأمل المكان، وشق علاء الصمت الذى ران عليهما بأن قال فى شئ من التردد:

- اسمعى ياعبير.. أريد أن أقابل عمك لأطلب منه يدك وأحقق حلمى القديم وأخطبك.. سأتصل بك بعد غد لتخبرينى بموعد اللقاء.

كست وجه عبير غلالة قاتمة من الضيق والكآبة، وبذلت جهدا مضنيا لتسيطر على انفعالها. وقالت فى شئ من الاحتداد:

- لن تستطيع أن تقابله.

لاحت الدهشة على وجه علاء، وتساءل:

- لماذا؟

أجابت عبير بنفس اللهجة:

- لأننى غير موافقة على الخطوبة.

ارتبك علاء أيما ارتباك، وشعر كأنه ألقى عليه دلو مملوء بالماء البارد فى يوم شديد البرودة، وتجهم وجهه من شدة الغضب والضيق، ولاذ بالصمت برهة، جاهد أثناءها لكى يسيطر على أعصابه الثائرة، وعندما تمالك جزءا من سيطرته على أعصابه، سأل عبير عن سبب الرفض، ولم يحصل على إجابة شافية، فنادى على

النادل، ودفع ثمن المشروبين، ونهض قائما، واستأذن لينصرف، وسار متجها إلى باب الكازينو وهو فى حالة شديدة من الغضب والضيق.

مر على هذا اللقاء أكثر من عام، لم يستطع علاء خلاله أن ينسى عبير، أو يبعد تفكيره عنها، وعندما أراد أن يتناسى حبه لها، وتظاهر بحب إحدى زميلاته فى العمل بالمدرسة الإعدادية التى يقوم فيها بتدريس اللغة الإنجليزية لتلميذات المدرسة، وتمت خطبته لها، ألفى علاء نفسه غارقا إلى أذنيه فى ذكرياته مع عبير، وكثير ماتردد صدى صوتها فى أذنيه بعبارات سمعها منها فى لقاءات سابقة، وكثير ما كان يرى طيفها بعين خياله وكانه يراها ماثلة أمام عينيه بجمالها الآسر الأخاذ الذى يسبى العقول، ويسحر الألباب، ومشيتها الرقيقة الوانية تجعلها تميس مثل غصن غض يداعبه النسيم فى فصل الربيع، واضطر علاء أن يفسخ خطبته على زميلته.

وفى يوم ما، استولت على علاء فكرة أن يتصل بعبير، وعندما لم تواته الجرأة ولا الجسارة، أرسل إليها رسالة فى الهاتف المحمول أودعها فيها تحياته وأشواقه الحارة، وأخبرها بأنه فى شوق لأن يعرف أحوالها.

قرأت عبير الرسالة، ولاحت الدهشة على وجهها، فلم

يدر بخلدها أن علاء ما زال يكن لها عاطفة الحب، فشعرت بالحزن والأسى لأنها لن تستطيع أن تبادله حبا بحب.

إن عبير لاتستطيع أن تنكر أن علاء شاب طموح مكافح وعلى خلق متين، وفوق ذلك، هو ينتمى إلى أسرة طيبة ميسورة الحال، ومستقبله لابأس به، وتتمنى الزواج منه أفضل الفتيات وأجملهن، وأنها فى قرارة نفسها تتمنى الزواج منه غير أن القدر حرمها نعمة الزواج وإنجاب أبناء تعتز بهم وتحبهم بسبب ظروف طارئة دخيلة على المجتمع لم يستطع شخص ما أن يعرف كنهها، وأن من يعرف يفضل الصمت إيثارا للسلامة.

استغرقت عبير فى التفكير برهة، ثم سألت نفسها: "لماذا تجد فى كل مكان تذهب إليه من يشيع عنها أخبارا تسئ إليها وإلى سمعتها؟!" وفى العمل أيضا كانت الشائعات المغرضة تسبقها أينما ذهبت.

لذا فهى تعتقد إن من يفكر فى أن يخطبها لابد أن يؤثر الفرار فى يوم ما، فيهرب منها وكأنه يخشى أن تصل إليه النيران المحرقة، وتحرقه إذا أصر على موقفه، وسار فى طريق إتمام الخطبة.

وما تعجب له عبير فى حقيقة الأمر، إنها لاتستطيع أن تقف على أثر لمن يقومون بتشويه سمعتها، ونشر

الأكاذيب عنها، غير أن الواقع يشير إلى أن لايجرؤ شخص، أيا كان مركزه الاجتماعى على الزواج من فتاة لديها سمة واحدة من السمات التى لدى عبير، فأصبحت الوجوه تقابلها بالتقطيب والعبوس بدلا من السرور والابتسام، وبالاستهانة عوضا عن الاحترام.

إن ثقة عبير بالآخرين ضعفت إن لم تكن قد انعدمت، وصار التحفظ فى المعاملة أهم سمة من سمات عبير، فقر عزم عبير على عدم الزواج، واتخذت من رعايتها لشقيقتيها بعد وفاة أبويها مبررا لعدم الزواج، على الرغم من أن ظروفها لم تكن تمنعها.

ثم عادت عبير إلى التفكير فى علاقتها بعلاء، واعترفت لنفسها بأنها تكن لعلاء مشاعر حب عميقة، وأنهما فى أعوام الدراسة حرص كلاهما على أن يخفى عن الآخر حقيقة شعوره، وكثير ماكان علاء يتوارى خلف ستار من الجفاء والخشونة المفتعلة.

مضى أكثر من أسبوعين دون أن يصل إلى علاء الرد على رسالته، فانتابه الشعور بالغضب والضيق، وقر عزمه على أن ينسى عبير، غير أنه مالبث أن عاد إلى التفكير فيها بقوة أشد.

ومضى أسبوعان آخران، اكتشف علاء خلالهما أن النسيان أمر يفوق قوة احتماله، وقر عزمه على أن يجد

حلا لهذه المشكلة، لأنه طوال الأعوام الماضية لم يعثر على فتاة تتفق وطباعه مثل عبير.

أمعن علاء التفكير لحظة، وطرأت على ذهنه فكرة أراد أن يقوم بتنفيذها بلا أدنى انتظار، فجلس إلى مكتبه، وتناول ورقة وقلما، وبدأ فى الكتابة:

عزيزتى / عبير

تحية طيبة وبعد

مادمت لاتحبيننى فلماذا ترسلين إلىّ طيفك؟ إنه يؤنسنى فى معظم الأوقات ولا يكاد يفارقنى. قلت لنفسى، لماذا لاأكتب إليك وأخبرك بما أنا فيه، إننى من شدة حبى لك، وإعجابى بك اكتشفت أننى يجب علىّ أن أبحث عن جميع معاجم اللغة لأنتقى منها الكلمات التى أرسلها إليك، كى تعبر عن شعورى تجاهك، وعاطفتى نحوك.

إننى ياعبير لاأكاد أنطق إلا اسمك، ولا أتوق إلا لسماع صوتك العذب الرقيق، فأضنانى السهاد، وصرت أجد السلوى فى ذكريات الماضى السعيد، ألوذ بها، وأستعيدها من حين إلى آخر.

إن أمنية حياتى ياعبير أن يستضيف هذا الطيف صاحبته التى ما أحببت فى الوجود سواها، إننى أريد أن تكتحل عيناى برؤيتها، أرجو ياعبير أن تردى على

رسالتى لكى أطمئن على أحوالك، وتهدأ مشاعرى وتستقر.

المخلص لك إلى الأبد

علاء عبد الحميد

فى المساء، ذهب علاء إلى المحامى ليستشيره فى أمر توكيله بمتابعة إجراءات الحصول على شقة بالإسكان الاقتصادى، ومر فى طريقه بصندوق البريد، وبعد أن أخرج الرسالة من حقيبة أوراقه، وقف أمام الصندوق برهة فى حالة من الحيرة والتردد، بعد لحظات واتته الشجاعة على أن يلقى الرسالة فى صندوق البريد، وما أن فعل ذلك حتى سارع بالابتعاد عن الصندوق وكأنه يخشى أن تقفز الرسالة من الصندوق، وأن تعود إلى حقيبة أوراقه مرة أخرى وتستقر فيها.

انتابت علاء الهواجس والأفكار بعد أن مضت عدة أيام دون أن يصل إليه الرد على رسالته، ففكر فى البحث عن وسيلة أخرى للاتصال بعبير والسؤال عن أحوالها، ومالبث أن خطرت على ذهنه فكرة، فشرع فى تنفيذها.

بعد يومين، وكانت الشمس تجمع آخر خيوط أشعتها لتذهب إلى مخبأها المعتاد، كان علاء يسير فى شارع عماد الدين ذاهبا إلى كافيتريا "النهضة" ليقابل كمال زميله فى الدراسة، وزميل عبير فى كل من الدراسة والعمل.

وما أن وصل علاء إلى الكافيتريا، ووقع بصره على كمال جالسا إلى منضدة، حتى ذهب إليه، وعانقه فى غبطة وسرور، وجلس على مقعد قبالته، ومالبث أن انهمك الصديقان فى الحديث، وأخذا ينتقلان فى الحديث من موضوع إلى آخر، ولم يشر أحدهما إلى سيرة عبير.

وبعد فترة وجيزة، انتهز علاء فرصة الصمت الذى ران عليهما إثر انشغال كمال بإشعال سيجارة، ووجه دفة الحديث إلى سيرة عبير. فتسائل:

- كيف حال زميلتنا عبير؟

أجاب كمال:

- بخير... أختها سالى معيدة بكلية الهندسة، ومتزوجة من زميل لها، ونهى طالبة بنهائى كلية الطب.

شعر علاء بفرحة غامرة، وانتابه الشعور بأن الجدار القوى المتين الذى وقف حائلا بينه وبين عبير ومنعها من الزواج أوشك على أن يزول، فاستولى عليه الشعور بالارتياح، وانتقلا فى الحديث إلى موضوع آخر.

وما أن عاد علاء إلى المنزل وذهب إلى حجرته، حتى أرسل إلى عبير رسالة فى الهاتف المحمول، يخبرها بأنه سره كثيرا أن تكون نهى قد تزوجت، وأن تكون سالى على وشك التخرج.

قرأت عبير الرسالة فى دهشة، وساورها الارتياب فى أن تكون هذه الأخبار وصلت إليه من كمال، فقرر رأيها على عدم الخوض مع كمال فى الحديث عن شئونها الخاصة.

بعد فترة، انتاب عبير الإحساس بأن مشاعرها تجاه علاء ثارت كما تثور النيران الكامنة تحت الرماد، واستعرت فى قلبها نيران الحب الدفينة، وبذلت جهودا مضنية لكى تئد هذه المشاعر فأخفقت، فأخذت تفكر فى وسيلة للتغلب عليها.

بعد يومين تقدمت عبير بطلب إلى مدير شركة السياحة التى تعمل بها، ترجوه أن يوافق على نقلها إلى فرع الشركة بشمال سيناء.

ثم مضت بضعة أيام، وتسلمت عبير عملها الجديد، فأرسلت إلى علاء رسالة فى الهاتف المحمول قالت فيها: "أرجو أن تصفح عنى...سنلتقى فى الآخرة".

المخلصة للأبد

عبير مصطفى

عند الكيلو..... ٢٦

كانت الشمس ترسل ضوءها إلى الكون، فتكسوه برداء أصفر اللون يشبه الذهب، عندما قادت د.مها سيارتها فى شارع جمال زعيتر بمدينة الوحدة الوطنية قرب طريق مصر اسكندرية الصحراوى، ذاهبة إلى مصنع الكمال للأسمدة، الذى تملكه ابنتها الكيميائية سماح.

ومالبثت د.مها أن أنقصت من سرعة السيارة رويدا رويدا، عندما صارت على بعد أمتار من المصنع، إلى أن وقفت السيارة أمام باب المصنع، فأحكمت غلق أبوابها وهبطت منها، وسارت متجهة إلى باب المصنع، وألفته مواربا، فأزاحته قليلا واجتازت عتبة الباب، وكان البواب يقوم بتنظيف المدخل، فألقت عليه تحية الصباح، فرد البواب التحية بصوت خافت دون أن يتزحزح من مكانه أو يدع مايفعل، وسارت د.مها فى الفناء متجهة إلى داخل المصنع.

لم تلتق د.مها أثناء سيرها فى الممر الذى تقع به حجرة مديرة المصنع بأحد من العمال أو الموظفين، وكان باب حجرة المديرة مغلقا، فحدست أن الجميع شغلوا

بتصنيع ماطلبته شركة سعيد عامر من سماد، فانتابها الشعور بالارتياح، وانعكس أثر ذلك على ملامح وجهها، وكادت ترتسم على شفتيها ابتسامة وهى تضع المفتاح فى قفل الباب وتديره، وبعد أن فتحت د.مها الباب، دخلت إلى الحجرة، وجلست على مقعد أمام المكتب.

لم يطل انتظار د.مها، فأتت سماح إلى الحجرة بعد قرابة بصف ساعة، وأثناء ذهابها إلى المقعد خلف المكتب لتجلس، ارتسمت على شفتيها ابتسامة رائعة أودعتها كل ما يكن قلبها من حب تجاه أمها التى أعطت لها فيلتها لتقيم عليها المصنع بعد أن تخرجت من قسم الكيمياء بكلية العلوم.

فكرت سماح برهة. ثم قالت:

- قولى لى مبارك ياأمى.

نظرت د.مها إلى سماح بتساؤل. وقالت:

- لماذا؟

أجابت سماح:

- عميل آخر اتصل بى أمس وطلب كمية كبيرة من السماد، ووعدنى بأن يزورنى بالمكتب صباح اليوم لنتفق.

كسا السرور والغبطة وجه د.مها. وقالت:

- وفقك الله ياابنتى. أتمنى لك المزيد من التقدم والنجاح.

شكرتها سماح، ثم شغلت الاثنتان بأحاديث عادية عن شئون الحياة اليومية، وكانت سماح أثناء ذلك تنظر إلى الساعة بمعصمها من حين إلى آخر، ثم لاح شئ من الضيق على وجهها فجأة. وقالت:

- تأخر العميل عن موعد حضوره بنصف ساعة.. أرجو ألا يكون قد عدل عن رأيه.

وقبل أن تسمع سماح رد أمها، بلغ مسمعيها صوت طرقات خافتة على باب الحجرة.

فتح الباب بعد هنيهات، ودخل إلى الحجرة رجل ما أن وقع عليه بصر د.مها حتى اربد وجهها. وصاحت قائلة فى غضب:

- ماذا أتى بك إلى هنا أيها اللص؟

ارتبكت سماح، واستولت عليها مشاعر مختلفة، مزيج من الخجل والدهشة والتعجب والحيرة.

واندفعت الاتهامات من فم د.مها وكأنها قذائف أخذت تنهال على الرجل بقوة دون أن يستطيع لها دفعا، فذهبت سماح إلى أمها، وحاولت أن تهدئ من ثائرتها دون جدوى تذكر، ثم رأت الرجل يستدير ويسير متجها صوب باب الحجرة.

ذهبت سماح إلى الرجل بسرعة ولحقت به واعتذرت إليه، وأخبرته بأن فى الأمر سوء فهم غير مقصود، وجذبته

من ذراعه برفق، وقادته إلى مقعد، فجلس على مضض، وطلبت له مشروبا مثلجا، وعادت إلى مكانها، وران الصمت والسكون على الحجرة برهة، شغل خلالها كل منهم بأفكاره.

شق السكون مجئ الساعى إلى الحجرة وبيده صينية عليها كوب من العصير، وضعها على منضدة أمام الرجل، وسأل سماح إن كانت فى حاجة إلى شئ آخر، وعندما نفت ذلك، انصرف إلى حال سبيله.

بعد فترة قصيرة، رشف العميل آخر رشفة فى كوب العصير، وأعاد الكوب إلى مكانه بالصينية فى حيرة وضيق.

وما لبثت سماح أن طرحت على العميل سؤالا تلو الآخر، وكان العميل يجيب عن أسئلتها بإسهاب، فتمكنت من الحصول على المعلومات المطلوبة لإتمام الصفقة، لذا عندما أبدى الرجل رغبته فى الانصراف أذنت له، وكررت اعتذارها له على ماحدث من سوء فهم، ووعدته بأن تقوم بعمل الإجراءات اللازمة وأن تتصل به.

وما أن غادر العميل الحجرة حتى بادرت مها قائلة فى غضب:

- هذه الصفقة لن تتم.

استولى على سماح الشعور كأن حجرا ثقيلا سقط على رأسها فجأة، ومنع عقلها من التفكير، فألجم لسانها،

ومضت برهة قبل أن تسترد شتات ذهنها. ثم تساءلت:

- ماالسبب؟ إن هذا العميل لم يرتكب جرما سوى أنه تأخر عن الحضور فى موعده نصف ساعة.

ازداد غضب د.مها. وقالت:

- لاتتعاملى مع هذا. إننى أعرفه جيدا وكفى.

لاح على وجه سماح المزيد من الشعور بالدهشة والتعجب والحيرة، وفى نبرات صوت تحمل فى طياتها شيئا من التوسل. قالت:

- ماالسبب يا أمى؟ أريد أن أعرف السبب لكى أعرف كيف أتعامل معه.

ترددت مها لحظة. ثم قالت:

- هذا الرجل اعتدى على هذه الأرض التى بنيت عليها مصنعك وسرقها وجعلنى أنفق كل مالدى من مال لكى أستردها.

استولى على سماح شعور يشبه أن تكون قد أصابتها صاعقة عقدت لسانها، وجعلته يعجز عن النطق، فظلت جالسة فى مكانها تحملق إلى الفراغ أمامها فى سهوم.

بعد لحظات، استردت سماح قدرتها على التفكير، وفى نبرات صوت امتزجت بها الحيرة والضيق رجت أمها أن تقص على مسمعيها ماحدث من هذا الرجل بالتفصيل.

اعتدلت مها فى جلستها، وتلاشى من على صفحة وجهها كثير من الغضب، وبدأت تحكى لابنتها ماحدث منذ أكثر من ستة أعوام.

فى ذلك الوقت، لم تكن الأرض التى أقيم عليها هذا المصنع سوى قطعة أرض مستطيلة الشكل أقيم فى زاوية منها شقة صغيرة تتكون من حجرتين، كانت مها تقيم فيها بضعة أيام من حين إلى آخر،تتفرغ فيها لكتابة الأبحاث والدراسات فى مادة الفلسفة التى تقوم بتدريسها فى الجامعة.

وفى يوم ما، وكانت د.مها وأختها الصغرى ماجدة جالستين على أريكة بحجرة المعيشة تشاهدان برنامجا فى التلفاز، وكانت الشمس فى آخر النهار قد جمعت خيوطها من الكون وجعلتها على هيئة قرص أرجوانى اللون، احتل بقعة من السماء جهة الغرب، طرق أذنى كل من مها وأختها صوت قادم من ناحية من السور الذى يحيط بقطعة الأرض، فنظرت كل منهما إلى الأخرى فى تساؤل، وعندما استمر الصوت، دفعهما الشعور بحب الاستطلاع إلى الخروج لمعرفة سبب الصوت، وهالهما ما رأتا، واستولى عليهما الشعور بالخوف والهلع، فوقفتا تحملقان إليه فى دهشة وذهول.

لقد وقع بصراهما على الشاب المكلف بحراسة المبانى فى هذه المنطقة من الشارع- أحمد سالم الغول- معتليا السور، وبيده اليمنى منشار كهربى، أخذ يشق به السور فى شراسة بالغة، وكأنه فى معركة حربية يشق صدر عدوا عانى منه كثيرا قبل أن يتمكن من الإيقاع به، لذا فهو يخشى أن يفلت من يده دون أن ينال عقابه، وقد وضع يده اليسرى على مسدس أخفاه فى جيب الجلباب الفضفاض الذى ارتداه، والذى كان قد انتفخ فى الهواء كالبالون وجعل منظر الرجل قد ازداد ضخامة على ضخامته.

وقد خيل إلى د.مها فى هذه اللحظة أن أحد الوحوش التى قرأت عنها فى كتب الأساطير، والتى لايوجد مثيل لها فى الحاضر، انقض على السور بقوة يبغى هدمه.

بعد هنيهات، أفاقت د.مها من ذهولها، واستطاعت أن تتمالك القليل من رباطة جأشها، وفى نبرات صوت حرصت على أن تكون هادئة بقدر الإمكان خشية أن يتهور الرجل وأن يستعمل المسدس. تساءلت:

- ماذا تفعل ياشيخ أحمد؟

وفى نبرات صوت مليئة بالغرور والتكبر. أجاب أحمد:

- هذه أرضى اشتريتها من ميلاد مشرقى و...و...

لم تستطع د.مها أن تصغى إلى كلمة أخرى، فقد اجتاحتها عاصفة جديدة من الغضب جعلت عقلها

يتوقف عن التفكير، وتردد فى أذنيها ماسمعت به من حوادث السطو على الأراضى فى هذه المنطقة، وإقامة المبانى عليها بأموال تم الحصول عليها من الاعتداء على الأفراد وسرقة أموالهم، وكأنها تسمعه فى هذه اللحظة.

نفضت د.مها عن ذهنها هذا التفكير بعد لحظات، عندما بلغها صوت ماجدة تتشاجر مع أحمد، وتأمره بأن يدع السور وأن يذهب إلى حال سبيله، وتهدده باستدعاء شرطة النجدة، فانتابها الخوف على ماجدة، وطلبت منها أن تكف عن الشجار فسكتت.

ثم حصرت د.مها تفكيرها فى أمر واحد، هو أن تمنع هذا الشقى من الاستيلاء على أكثر من نصف أرضها، فقالت باحتداد:

- هذه الأرض ملكى، وقد اشتريتها قبل أن تولد، ومع ذلك، إذا كنت تدعى إنك اشتريتها اذهب إلى المحكمة وارفع دعوى ضدى.

لم يتوقف أحمد عن شق السور، وصاح قائلا فى غضب:

- لن أذهب إلى المحكمة.. اذهبى أنت إلى القضاء. وأنا سأحصل عليها بطريقتى. لن أفعل مافعلته حورية حماتى.

فى الحال أدركت د.مها أن أبناء حورية -أحمد أبو العلا وأخويه- ورثوا عن أمهم الطمع فى هذه الأرض والرغبة فى الاستيلاء عليها عنوة، وأن الحديث مع هذا الشخص لن

يجدى، فأضمرت فى نفسها أمرا، واستدارت وسارت متجهة صوب باب الشقة، وتبعتها ماجدة فى صمت وسكون.

وبعد أن سارتا بضع خطوات. تساءلت ماجدة:

- من حورية هذه يا مها؟

أجابت د.مها:

- امرأة لا أعرفها ادعت أن أرضى ملكها وزورت عقدا ورفعت ضدى قضية فى المحكمة، ورفضت القضية، وبعد وفاتها يسعى أبناؤها الثلاثة إلى الاستيلاء على هذه الأرض بكافة السبل، ويكيدون لى من وقت لآخر.

قالت ماجدة فى صوت خفيض، وكأنها تتحدث إلى نفسها:

- الله المنتقم الجبار.

ثم فكرت برهة، وفى نبرات صوت بدا كأنه قادم من أغوار بئر عميق قالت فى شئ من التردد:

- لن أستطيع أن أنسى أنها سرقت أثاث المنزل الذى بذلت فيه مع خطيبك كل ما استطعتما من جهد لشرائه، ولوثت سمعتك لكى يفسخ الخطبة.

استولى على د. مها الشعور كأن نصل سكين حاد انغرس فى قلبها فجأة، فازدادت شدة خفقانه حتى خيل إليها وكأنه يوشك أن يفر من صدرها، وانسكب فى جوفها مزيد من الشعور بالحزن والقهر والإحباط والمرارة، غير أنها

بذلت مجهودا مضنيا لكى تخفى عن ماجدة حقيقة مايعتمل فى صدرها من مشاعر فأخفقت، ذلك لأن ملامح وجهها ازدادت تجهما وقتامة، فأطرقت برأسها فى ضيق.

وانعكس أثر ذلك على ماجدة. فقالت فى نبرات صوت امتزجت بالحزن والغضب:

- أعانك الله.

وغمغمت د. مها ببضع كلمات مبهمة وسارت متجهة إلى حجرتها.

بعد قليل، ذهبت د.مها إلى قسم الشرطة للإبلاغ عن الحادث، وسلكت الكثير من السبل التى تمكنها من استعادة أرضها باستخدام القانون إلى أن نجحت فى ذلك.

توقفت د.مها عن الحديث، وساد الصمت أرجاء الحجرة برهة شغلت خلالها كل منهما بأفكارها إلى أن شقت د.مها الصمت والسكون بأن قالت وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة:

- وها هى الأرض وقد آلت ملكيتها إلى ابنتى الحبيبة المهندسة سماح.

قالت سماح فى تأثر:

- لك حق.

ومدت يدها إلى درج بمكتبها وتناولت الهاتف المحمول، وبدأت فى طلب رقم هاتف العميل.

خيانة

بسط الليل رداءه على الكون، وانتشر الظلام فى أرجاء شقة رباب، ولم تكلف رباب نفسها مشقة أن تتجشم عناء النهوض من على المقعد فى حجرة المعيشة لكى تضغط على الزر الكهربى، وتضئ المصباح المعلق فى سقف الحجرة على مقربة من منتصفها.

وعلى الرغم من الظلام الذى انتشر فى الحجرة حول رباب، وجعلها لاتبصر شيئا، لم تشعر رباب بذلك لأن ماامتلأ به صدرها من أحزان جعل الظلام داخل نفسها أشد كثافة وحلكة، فظلت جالسة فى مكانها لاتقوى على أن تبرحه، وغامت عيناها وراء غلالة رقيقة من الدمع أبت أن تفارق عينيها منذ بضعة أيام.

بلغ أذنيها رنين جرس الباب،فهبت واقفة باهتمام بالغ وكأنها على موعد معه منذ فترة، وسارت بخطى واسعة لتغادر الحجرة، وذهبت إلى باب الشقة وفتحته، وفى نبرات صوت امتزجت بها رنة حزن أضفت عليها المزيد من الوقار، تسائلت:

- لماذا تأخرت ياهشام؟

أجاب هشام وهو مازال واقفا خارج باب الشقة حاملا أدوات الدرس الخصوصى، وينظر إلى أمه فى لوم وعتاب:

- لم أتأخر يا أمى، إن هذا الملل الذى أنت جالسة فيه جعلك تظنين أننى تأخرت.

فى الحال، استدركت رباب حقيقة الموقف، وبدت كمن تذكر شيئا فجأة. وقالت:

- معك حق. كنت نائمة.

وذهبت إلى المفتاح الكهربى، وضغطت على الزر، فانساب الضوء من المصباح، وأضاء الردهة، ودلف هشام من الباب، وأغلقه خلفه، وسار متوجها إلى الداخل، بينما ذهبت رباب إلى الأريكة، وجلست على ناحية منها.

جلس هشام على الأريكة على مقربة من أمه. وقال:

- سأستريح قليلا ثم أذهب إلى حجرتى لأستذكر دروسى.

ونظر إلى أمه لحظة متأملا، ثم أردف:

- الامتحانات صارت على الأبواب وعلىَّ أن أنجح فى الإعدادية بمجموع كبير.

لمس ذلك وترا حساسا فى صدر رباب، فشعرت كأن انسكب فى جوفها جرعة جديدة من الحنان، وتوجهت إلى الله بالدعاء بأن يكتب له النجاح.

استولى على هشام الشعور بالشوق إلى أبيه، فثارت أحزانه واغرورقت عيناه بالدموع، فقد توفى أبوه منذ بضعة أيام.

نظرت رباب إلى هشام، ورأت ماكتسى به وجهه من حزن واكتئاب، فسألته عما به، ولم يستطع هشام أن يجيب عن تساؤلها لأنه موقن أنها تعرف السبب، لكنها تروغ منه، وأن لديها نفس الشعور الذى لديه إن لم يكن يزيد.

أرادت رباب أن تخفف عن هشام وطأة الشعور بالحزن، وأن تواسيه فى محنة وفاة أبيه، فضمته إلى صدرها فى حنان، غير أنها داهمتها موجة من الحزن أطاحت بما بذلته من جهد فى محاولاتها للتماسك والتجلد، وتلاشت مقاومتها، وانسابت الدموع من عينيها كالمطر المنهمر، فتركت هشام ومسحت دموعها، وحاولت أن تسيطر على أعصابها من جديد، وبلغ أذنيها صوت هشام كأنه قادم من أغوار بئر عميق. قال:

- لاتبك ياأماه، ترك أبى وراءه رجلا.

وأشار إلى نفسه بزهو. وأردف:

- هو أنا.

شعرت رباب أن هشام اكتسب من التجربة شيئا من النضج اتضح فى شعوره بالمسؤلية والرغبة فى الاعتماد

على الذات، وأرادت أن تنتزع من شفتيها ابتسامة، غير أنها عجزت عن تحقيق ذلك، واكتفت بأن ربتت على كتف هشام بحنان.

شعر هشام بالإشفاق على أمه، وتمنى لو أن بمقدوره أن يزيح عنها كل ماتشعر به من حزن، وانتابه الشعور بأنها اعتبرته مازال ضعيفا، وأراد أن تعتبره على غير ذلك، فاعتدل فى جلسته. وقال:

- جدى قال لى يجب أن تكون رجلا ياهشام.

سر رباب أن يستعين هشام بقوة الإرادة لتخفيف آثار الجرح، غير أنها لم تفه بحرف واحد ولاذت بالصمت، وبعد لحظات، نهض هشام واستأذن ليذهب إلى حجرته.

منذ شهر تقريبا كانت رباب قد تعاقدت على القيام بإحياء حفل كبير بفندق سمير اميس، وحان موعده غدا فى التاسعة والنصف مساء، وعندما توفى زوجها أمرت مايسترو الفرقة الغنائية بأن يتصل بمتعهد الحفل، وأن يطلب منه إلغاء التعاقد، وانتاب رباب الهواجس والشكوك حول قيام المايسترو بأداء هذه المهمة، لذا اتصلت به بهاتفها المحمول.

وكادت رباب أن تجن من شدة الغضب عندما علمت أن مايسترو الفرقة لم يتمكن من إلغاء التعاقد، متذرعا بأن المتعهد لم يوافق، كما أن الفرقة فى هذه الأيام تمر

بأزمة مالية حادة، وأنها فى أشد الحاجة إلى النقود، وأن جمهور الحفل يعشقون غناءها وطلبوها بالاسم، فاستولت الحيرة على رباب، وأخذت تفكر فيما ينبغى عليها أن تفعل.

بعد قليل، اتصلت رباب بمايسترو الفرقة ورجته أن يتصل بزميلتها نرجس وان يرجوها أن تقوم بإحياء الحفل بدلا منها، فوعدها المايسترو بأن يحقق طلبها، وبعد فترة قصيرة وصل إليها الرد على لسان نرجس، بأن اتصلت بها وشكرتها على حسن ظنها بها وأنها اختارتها لإحياء الحفل، فأحست رباب بالطمأنينة والارتياح، وذهبت إلى المطبخ لتقوم بإعداد طعام العشاء لها ولهشام.

فرغ هشام من تناول طعام العشاء وذهب إلى حجرته ليستأنف استذكار دروسه، وسرت رباب كثيرا، وقامت بإزالة بقايا الطعام من على المائدة، وبعد أن فرغت من أداء بعض الأعمال المنزلية، عادت إلى الردهة، وجلست على مقربة من باب حجرة هشام لتقوم بتلبية طلبه بسرعة إذا احتاج إلى شئ.

بعد قليل، ارتفع رنين جرس الهاتف المحمول، وردت رباب على المتحدث، وكان متعهد الحفل يبلغها بأن اعتذارها لم يقبل لأن كل شئ قد تم ترتيبه بعناية

ودقة، وأرادت رباب أن تثنيه عن عزمه فأخفقت، وانتهت المكالمة دون أن تصل رباب إلى شئ.

فى الحال اتصلت رباب بالمايسترو وروت له ماحدث، واستطردت قائلة فى ضيق وإنكار:

- قلت له إننى حزينة وأن جمهور الحفل يريد أن يفرح. فكيف أفرض عليه حزنى.. قال لى غير مهم.. كفى أن تقفى على خشبة المسرح. قل أنت.. ماذا أفعل؟

شعر المايسترو بالحيرة ولم يجب. فأردفت رباب فى ضيق أشد:

- هل أقول لهم أضحك والدمع فى عيونى.. وقلبى من الحزن بيتألم.. والنوم أهه خاصم جفونى.. والشوق فى قلبى حيتكلم.

صاح المايسترو قائلا:

- الله.. الله ياسيدة رباب.. هذه أغنية. لقد بدأت تؤلفين الأغانى، إننى سوف ألحن لك هذه الأغنية فى القريب العاجل. وستكون أغنية الموسم.

كادت رباب تبتسم، وأرادت أن تحسم الموقف.فقالت:

- ياااه يامحمد ياسعيد.. المهم هو أن تجد حلا لهذا الموقف.

قال المايسترو فى شئ من الاحتداد:

- الاعتذار يارباب هانم ليس فى صالحك ولا فى صالح الفرقة، لن يستطيع شخص أيا كانت ظروفه أن يقطع رزقه بيده. الفرقة فى أزمة مالية حادة، منيت فى الفترة الأخيرة بخسائر فادحة. عندك فرقة يحسدك عليها الجميع. بدأ الأعضاء يضيقون بالبطالة.. وهؤلاء الأعضاء إذا تركوا الفرقة والتحقوا بفرق أخرى لن تستطيعى أن تستردیهم مرة أخرى.. يجب أن تفكرى فى الموضوع بعقلك لا بعاطفتك تجاه المرحوم زوجك...و...

تسائلت رباب تقاطعه:

- وماذا؟

أجاب المايسترو:

- لدى كل عضو من أعضاء الفرقة زوجة.. لديه أبناء فى المدارس والجامعات يجب أن ينفق عليهم.

وضعت رباب الهاتف المحمول جانبا، واستغرقت فى التفكير برهة، وانتابها الشعور بأنها لن تستطيع أن تغير حقيقة شعورها، فقالت لنفسها:" كيف أكون حزينة وأستطيع أن اجعل الآخرين يشعرون بالسعادة؟! إننى أكاد أشعر بأن هذه خيانة..أجل خيانة.. إن لم يكن ذلك خيانة لمشاعرى فهى خيانة لزوجى...

ومالبثت رباب أن سألت نفسها فى حيرة:" لكن إلام يستمر ذلك؟ عملى هو أن أغنى... ولن أستطيع أن

أحترف مهنة أخرى." واستمرت رباب فى التفكير دون أن تصل إلى حل يحسم الموقف.

فى اليوم التالى، قبل موعد الحفل بوقت غير قصير وقفت رباب أمام مرآة منضدة الزينة فى حجرة نومها تتأمل صورتها المنعكسة على صفحة المرآة بتمعن، لتضع اللمسات الأخيرة على مظهرها، ورغم أنها بالغت فى التأنق ولبس الحلى، واستخدام مستحضرات التجميل، غير أن كل ذلك لم يستطع أن يخفى تماما مابدا عليها من حزن، فاكتسى وجهها بغلالة رقيقة من الحزن، وبدت آثار الدموع فى عينيها كأنها لألئ شفافة اللون، تألقت فى الضوء وألقت ظلالها على الجفون المتورمة من أثر البكاء.

بعد لحظات، انتاب رباب الشعور أنها فعلت أقصى مابوسعها، فابتعدت عن المرآة بسرعة كأنها تفر من أمامها، وذهبت إلى المنضدة وحملت حقيبتها، وغادرت الحجرة.

وقفت رباب فى الردهة خارج باب حجرة هشام، ونادت على هشام، وعندما رد عليها قالت فى رجاء:-

- هيا بنا.

وقف هشام عند باب الحجرة بملابسه المنزلية. وقال:

- لن أذهب.

لاحت الدهشة على وجه رباب عندما رأته على هذه الهيئة وقالت لتستميله:

- هل أذهب إلى الحفل بمفردى؟

أجاب هشام:

- أنت دائما تذهبين بمفردك.

وفى نبرات صوت توحى بالتصميم أردف:

- أريد أن أذاكر.

أثار ذلك فى نفس رباب ذكرى أنه كان يرافق أباه فى مثل هذه الأوقات، وأحست أنها ربما تنكأ جرحا مازال ينزف، فتأملت هشام ، ورأت آيات التصميم بادية عليه. ففكرت لحظة، ثم أخبرته بأنها لن تتغيب كثيرا، واستدارت وسارت متجهة صوب باب الشقة، وتبعها هشام ليحكم إغلاق باب الشقة خلفها.

بعد قليل، أوقفت رباب سيارتها أمام باب الفندق الذى سوف يقام به الحفل، وما أن هبطت من السيارة، ودلفت من الباب حتى استقبلها الحاضرون بحفاوة جعلتها تنسى مايعتمل فى صدرها من حزن، غير أنها أحست بشئ من القلق والاضطراب عندما ذهبت إلى القاعة، واستولى عليها شعور جعلها تبدو كأنها تواجه الجمهور للمرة الأولى، ثم أخذ هذا الشعور يتبدد شيئا فشئ.

لذا عندما شرعت رباب فى الغناء واندمجت فى الأداء،دفعها السرور الذى بدا على وجوه الحاضرين إلى أن تنسى مشاعرها الخاصة، كأنها قررت أن تحتفظ بها فى مكان مغلق، واستمرت على هذا الحال إلى أن انتهى الحفل.

وما أن خرجت رباب من الفندق وانفردت بنفسها فى سيارتها حتى عاودها الشعور بأنها خانت مشاعرها وخانت ذكرى زوجها الراحل.

خديعة

ران الهدوء والسكون على شارع (.....) بالحى المتميز بمدينة السادس من أكتوبر كعادته فى مثل هذا الوقت من النهار فى معظم أيام الأسبوع، إذ كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة بقليل، ولم يكن هذا وقت ذهاب إلى العمل أو عودة منه.

فتح باب فيلا صلاح البنداجونى، وخرجت مشيرة من الباب، وأغلقته خلفها، واستدارت ناحية اليمين وسارت على الجانب الأيمن من الشارع بخطوات معتدلة فى خفة ورشاقة جعلاها تبدو وكانها حرصت على أن تتيح للرائى فرصة مشاهدة جمال وجهها وأناقة ملبسها.

كانت مشيرة مرتدية عباءة سوداء اللون برسوم ذات فصوص لامعة كالفضة، ولم تتمكن الطرحة الشيفون ذات اللون الرمادى الفاتح والخطوط السوداء التى تزخرفها أن تخفى كثيرا من ملامح وجهها، وقد أحاطت مشيرة عينيها السوداوين بخط أشد منهما سوادا زادهما جمالا ورونقا، وجعلهما فى حالة تباين مع بياض عينى

مشيرة من ناحية، ومع بشرة وجهها المائلة إلى البياض المشوب بالحمرة من ناحية أخرى.

وقفت مشيرة على مقربة من مسجد الحصرى تتطلع إلى وجوه المارة، ثم وقعت عيناها على شاب يكبرها ببضعة أعوام ينظر إليها من حين لآخر وعلى شفتيه ابتسامة ويسير متجها نحوها، هو أسامة.

صافح أسامة مشيرة فى ود وحماسة، وأمسك ذراعها بيده اليمنى لتسير فى ناحية من الطريق، فأطاعته مشيرة وسارا متجاورين وهما يتحدثان فى بعض شئونهما، وبعد أن قطعا فى سيرهما مسافة قصيرة. تساءل أسامة:

- هل جئت بما طلبت؟

هزت مشيرة رأسها بالإيجاب، فلاح السرور على وجه أسامة، وأمسك بيدها اليمنى فى حنان، وضغط عليها بأنامله فى رفق وكأنه يحتضنها، فشعرت مشيرة وكأن مسا كهربيا يسرى فى جسدها ويدغدغ حواسها، فجذبت يدها من يده برفق وسارا فى صمت.

انعطف الاثنان إلى شارع، ومرا فى طريقهما بكشك يبيع المرطبات، فطلب أسامة من مشيرة أن تنتظره برهة ريثما يعود، فوقفت مشيرة إلى جانب الطريق، وذهب أسامة إلى الكشك مسرعا.

بعد قليل، اقترب أسامة ومشيرة فى سيرهما من قطعة من الحجر تصلح لأن يجلسا عليها، فاتجها نحوها وكل منهما بيده اليمنى علبة من عصير الفاكهة، كان يحتسى منها من حين إلى آخر جرعة صغيرة، فيمس طرف الأنبوبة بشفتيه برفق كما يحتسى فرخ الحمام الماء من فم أمه الحنون.

وبعد فترة وجيزة، جلس الاثنان على قطعة الحجر متجاورين، ورشف أسامة آخر جرعة فى علبة العصير، وألقى العلبة على الأرض، واعتدل فى جلسته، ولاحت الجدية على وجهه. وقال:

- مؤكد أنك تعلمين إننا يجب أن نضحى من أجل مستقبلنا.. نريد أن يكون عندنا مسكن... وأن يكون لدينا أبناء.

تأمل أسامة وجه مشيرة ليعرف مدى تأثير حديثه عليها، وشعر بسرور بالغ عندما رأى حمرة الخجل تعلو وجه مشيرة، فأطرقت برأسها. وقالت:

- ضقت بالعمل خادمة للآخرين... أريد أن أخدم من أحببت.

تسائل أسامة فى نبرات صوت تنطوى على التخابث:

- ومن الذى احببت؟

رنت مشيرة إلى أسامة وابتسمت فى خجل، وجذبت عينيها من عينيه بسرعة، وأطرقت برأسها فى حياء،

وساد بينهما صمت شغل كل منهما خلاله بما يجيش فى صدره من مشاعر، وما يدور فى ذهنه من أفكار، وقطع أسامة الصمت بأن رجا مشيرة أن تقوم بتنفيذ ما يخبرها به بالحرف الواحد، فوعدته بأن تفعل.

أعطى أسامة لمشيرة بطاقة فيزا، وتأمل تعبيرات وجهها وهى تفحص البطاقة، وبدا الارتياح على وجهه عندما أخبرته بأنها تشبه تماما البطاقة التى لدى سميحة. فأحس بالطمأنينة، وأخذ يوضح لها ما ينبغى عليها أن تفعل.

وكان الليل قد أرخى سدوله على الكون، وأضيئت المصابيح فى أماكن متفرقة من الفيلا لتبدد الظلام، وكانت مشيرة واقفة فى الردهة على مقربة من حجرة صلاح وسميحة مصغية بانتباه إلى الحديث الذى دار بينهما، وأخبر صلاح سميحة بأنه اتفق على بناء فيلا، ودعا صاحبها ووكيله إلى تناول العشاء معهما، وطلب منها أن تأمر مشيرة بأن تعد لهم مايكفى من طعام.

طمأنته سميحة بأنها ستقوم بتنفيذ ما طلب، وكان صلاح قد انتهى من ارتداء ثياب الخروج، فتناول حقيبة أوراقه، ولثم وجنة سميحة، وغادر الحجرة فتبعته سميحة إلى أن غادر الفيلا ليذهب إلى الشركة الهندسية التى يملكها، وعادت إلى الحجرة، وبدأت فى

ترتيب محتوياتها، وعندما فرغت ذهبت إلى حجرة المعيشة لتشاهد حلقة من مسلسل تليفزيونى تتابع مشاهدته.

انتهزت مشيرة الفرصة، وتسللت إلى حجرة نوم سميحة، وذهبت إلى حقيبة يدها، وكانت معلقة على المشجب، وفتحتها فى شئ من الخوف، وتناولت بطاقة فيزا البنك، ووضعت البطاقة الأخرى مكانها، وأغلقت الحقيبة وكأن شيئا لم يحدث، وغادرت الحجرة مسرعة، وذهبت إلى المطبخ، وشغلت بأداء الأعمال التى طلبتها منها سميحة.

ولم تكن الساعة قد تجاوزت الحادية عشر ليلا، عندما اتصلت مشيرة بأسامة بالهاتف المحمول وأخبرته فى عبارات مقتضبة وبصوت خافت لايبين، بأنها أدت مهمتها بنجاح، فطلب منها أن يلتقيا، وفى الحال، اتصل بصديقه حسام وأخبره بما حدث.

وبعد يومين، جلس أسامة وحسام حول منضدة، خارج كافيتريا بشارع أبو الفرج يتحدثان فى مختلف شئون حياتهما، ثم توقف حسام عن الحديث فجأة، فاحترم أسامة صمته ولاذ بالصمت فى ترقب، ثم قال حسام فى جدية وفى شعور بالعظمة:

- الغول يريد إصابة سميحة بخسائر فادحة.

فشعر أسامة بالتعجب، وتساءل عن السبب، فأجاب حسام فى لهجة العليم ببواطن الأمور:

- لايريد أن تجد المال أو الوقت اللازمين للجوء إلى القضاء ومحاولة استرداد الأرض التى سطا عليها، إنه يريد أن يقيم عليها مصنعين كبيرين يعملان طوال الأربع والعشرين ساعة.

فكر أسامة لحظة. وقال:

- زوجها سوف يعاونها.

قال حسام باستهانة:

- يعاونها... المهم لقد تم التخطيط للعملية جيدا.

مضى أكثر من أسبوعين دون أن تفطن سميحة إلى ماحدث، وعندما ذهبت إلى البنك، وقفت أمام آلة الصرف تنتظر خروج النقود التى طلبتها، وقرأت العبارة التى كتبت على الشاشة "الرصيد لايكفى".

تعجبت سميحة وأعادت سحب النقود مرة أخرى دون جدوى، فشعرت بالضيق،وقابلت الموظف المسئول، وأخبرته بأن الالة معطلة، فنفى الموظف ذلك، ورجاها أن تعيد المحاولة، لذا دار حوار بين سميحة والموظف، بعد أن أجرى عملية السحب بنفسه، وهال سميحة أن لم يطرأ جديد على الموقف.

وقف الموظف حائرا برهة، ثم نظر إلى البطاقة فى تفكير، وتجهم وجهه. وقال:

- هذه البطاقة لاتخصك.. إنها باسم (.....)

لم تصدق سميحة أذنيها، وتناولت البطاقة من الموظف بسرعة، وكأنها تختطفها، وجرت عيناها على الاسم المدون، وهالها أن الموظف لم يخطئ فى قراءة الاسم، فأحست بصدمة هائلة جعلتها تفقد القدرة على النطق أو التفكير، فلاذت بالصمت، وهى تكاد تجن من الشعور بالضيق والغضب والدهشة، وكانت نظرات الاتهام التى لاحت فى عينى الموظف أشد إيلاما، ولم تستطع أن تجد ردا عندما سألها الموظف عن كيفية حصولها على هذه البطاقة.

وقد جاهدت سميحة لكى تتمالك شيئا من رباطة جأشها، وذهبت إلى الشباك، وأخبرت الموظف بما حدث، ورجته أن يطمئنها على رصيدها، فأخبرها أن رصيدها جنيهان، وأنها سحبت حوالى سبعة وتسعين ألفا من الجنيهات خلال الأيام الماضية.

نفت سميحة فى إصرار أنها فعلت ذلك، ودافعت عن نفسها دفاع المستميت دون جدوى، وقابلت مدير البنك، فأخبرها بان البنك غير مسئول عما حدث، فغادرت سميحة البنك وهى تكاد تجن من الضيق والغضب، وعادت إلى منزلها على الفور.

امعنت سميحة التفكير دون ان تتوصل إلى شئ، وظلت جالسة فى مكانها بالردهة لاتريد أن تبرحه.

وعندما عاد صلاح من عمله،ورآها على هذه الحالة ، شعر بانزعاج وسألها عما ألم بها، فأخبرته بما حدث، فأخبرها بأنه تراوده الشكوك حول مشيرة ، ونصحها بأن تقوم بطردها.

قامت سميحة بطرد مشيرة من الفيلا دون أن تستجيب إلى توسلها وتضرعها وبكائها الحار وهى تنفى عن نفسها تهمة سرقة البطاقة.

سارت مشيرة فى الشارع مبتعدة عن الفيلا، وقد حملت فى يدها اليمنى حقيبة من النايلون جمعت فيها كل ما تملك من حطام الدنيا، واستولى عليها الشعور بالندم لأنها قابلت أسامة بالكازينو فى صباح هذا اليوم، وتذرعت بأنها قامت بزيارة خالتها المريضة.

كفت مشيرة عن البكاء، وتمالكت قسطا من رباطة جأشها، واستعادت بذاكرتها ما حدث منذ قليل قبل أن تغادر الفيلا، واستغرقت فى التفكير فيما ينبغى عليها أن تفعل.

اتصت مشيرة بأسامة، وأخبرته بما حدث، ورجته أن يبحث لها عن مكان تأوى إليه إلى أن تجد مكانا آخر تقيم فيه، فنصحها أسامة بالصبر والحذر لتحقيق هدفهما، وبعد محاولات مستميتة من جانب مشيرة وتهديدها له بأن تبلغ الأمر إلى الشرطة وصف لها عنوان منزل صديقه حسام فى روض الفرج.

وقرب منتصف الليل وقفت مشيرة أمام باب شقة حسام وضغطت زر الجرس وهى يحدوها الأمل فى أن يستضيفها بضعة أيام أو أن يستضيفها الليلة على أقل تقدير.

فتح حسام باب الشقة، ورأى مشيرة واقفة أمام الباب، فنظر إليها متأملا فى دهشة واستغراب، وسألها عما تريد، فأجابت:

- إننى من طرف صديقك أسامة وأرجو أن.....

قاطعها حسام قائلا:

- لا أعرف شخصا بهذا الاسم.

وأغلق الباب بسرعة وكأنه يصفقه.

ذهبت مشيرة إلى الشارع، واتصلت بأسامة، وبلغ أذنيها عبارة الاتصال بهذا الرقم غير متاح، فاستولى على مشيرة الشعور باليأس والضياع، واجتاحها الشعور بأن الدنيا جميعها قد تخلت عنها، فأخذت تسير من شارع إلى شارع على غير هدى، وتتصل بأسامة كل بضع دقائق دون جدوى، وعندما أصابها التعب والإعياء من كثرة السير، جلست على الطوار، ووضعت الحقيبة إلى جوارها.

بعد فترة وجيزة، لمحت مشيرة رجلا يمر وراءها بخفة وكأنه يفر من شئ ما، وكان قريب الشبه بأسامة، فنهضت

بسرعة وتبعته، وعندما أيقنت أنه هو، تبعته خلسة، وصعدت وراءه إلى سطح المنزل، ورأته يتجه إلى حجرة صغيرة، وفتح بابها بمفتاح كان فى جيب قميصه، عندئذ وقفت مشيرة على بعد خطوات. وقالت:

- لقد ضيعتنى وجعلتهم يطردوننى وأتصل بك يقال إن هذا الرقم غير متاح.

أحس أسامة كأنه صدم، واستدار ونظر وراءه فى هلع ورأى مشيرة، فتمالك شيئا من رباطة جأشه ورجاها أن تغادر المنزل فى الحال لأن صديقه صاحب الحجرة إذا اكتشف وجودها معه سوف يطردهما، فأصرت مشيرة على أن تبقى، عندئذ أغلق أسامة الباب فى غيظ، وقبض بقوة على ذراع مشيرة، ودفعها لتسير أمامه نحو الدرج وتبعها.

زيارة

قبل شروق شمس هذا اليوم بقليل ، جلس كمال خلف المائدة يرشف جرعات من الشاى من كوب وضع على صينية امامه فوق المائدة فى شرود وقد استولى عليه الشعور بالإحباط وهوان الشأن، فجأة ارتسمت على صفحة مخيلته صور تتابعت على ذهنه كما تتتابع الصور فى شريط فيلم سينمائى.

فقد غادر إبليس المحكمة وهو فى أشد حالة من الغيظ والضيق، إذ صدر الحكم ضده فى قضية اعتدائه على زميله بالضرب والسب، وقد وقعت عليه أقسى عقوبة فى التاريخ، وهى أن يعاون أول شخص يلتقى به بعد أن يغادر المحكمة، وأن يقوم بخدمته إلى أن يستغنى عنه.

وعلى الرغم من شعور إبليس بأنه لحقت به إهانة بالغة، غير أنه أقنع نفسه بضرورة أن يتعجل القيام بتنفيذ الحكم والانتهاء منه فى أقرب وقت ممكن.

لذا سار إبليس فى الشارع الخالى من المارة، والذى لم يكن يبدد الظلام الذى ران عليه فى هذه اللحظة سوى

أشعة قليلة لاتسمح برؤية المرئيات التى حوله بوضوح، وأخذ إبليس ينتقل من شارع إلى شارع كى يعثر على ضالته، بينما أخذت الشمس تلقى أشعتها إلى الكون فى دفقات تتتابع من حين إلى آخر، وتجعل الليل يجذب خيوطه السوداء ويخفيها تاركا المجال لضوء النهار لكى يزداد ويضفى تأثيره على الكون، ويكسب المرئيات رونقا ووضوحا وبهاء.

رأى إبليس باب منزل يفتح، ويخرج منه شخص فى مقتبل العمر، لم تتمكن أناقته ووسامته من أن تخفى الشحوب الذى كسا وجهه من أثر السهاد والانشغال وكثرة التفكير، هو كمال، فتبعه فى صمت وسكون، وحرص على ألا يفطن إلى أن أحدا يتبعه.

بعد فترة قصيرة، وسع إبليس من خطوه إلى أن أدرك كمال وسار بمحاذاته، وتحدث إلى كمال ببضع كلمات عبر فيها عن إعجابه به لنشاطه وذهابه إلى العمل مبكرا فى مثل هذا الجو القارص البرد، فأبدى كمال ضيقه وتبرمه، ووسع من خطوه مبتعدا عن إبليس دون أن ينبس ببنت شفة.

لحق إبليس بكمال مرة أخرى، وقال بصوت خافت:

- يبدو أنك لم يغمض لك جفن طوال الليلة الماضية، إننى أعرف أن الآنسة شيرين ابنة عميد المعهد تحبك

وأنك تحبها وأن أباها رفض أن تتزوجا.

شعر كمال بضيق شديد ،وأحس بدهشة بالغة، وتعجب فى نفسه، وألح على ذهنه السؤال:" كيف حصل هذا المتطفل على هذه المعلومات رغم أنه لم يفصح عنها لأحد؟"

قال إبليس بثقة واعتداد، وبلهجة ممتزجة بشئ من السخرية:

- أنت الآن تسأل نفسك.. كيف توصلت إلى هذه المعلومات؟ سأجيب عن سؤالك قائلا إننى لدى مصادرى الخاصة.

صمت لحظة تأمله خلالها. وأردف:

- أبو شيرين يريد أن يزوجها لابن أخيه الذى عاد من أمريكا حديثا بعد حصوله على الدكتوراة من إحدى الجامعات هناك... أبوها لايقيم وزنا لحبكما ولا لمواهبك ولا لطموحك.

لم يجب كمال على الرغم مما بدا على وجهه من ضيق وتبرم، واستطرد إبليس قائلا فى همس:

- جرب أن تتعامل معى ولن تندم.. سوف أعاونك على أن تحقق آمالك.

تضاقم شعور كمال بالغضب والضيق، وقال فى نبرات صوت امتزج بها شئ من الغضب والاحتداد:

- يجب أن تحقق آمالك أولا .. إن فاقد الشئ لايعطيه. الهموم تبدو على وجهك أكثر مما تبدو على وجهى.

وأسرع فى السير بأقصى سرعة ممكنة إلى أن وصل إلى موقف سيارات السرفيس، وركب الميكروباس، وهبط أمام معهد بحوث الصحراء.

ذهب كمال إلى حجرة مكتبه بالمعهد، وبعد أن وضع حقيبته على المكتب، تناول سلسلة مفاتيح من درج بالمكتب، وغادر الحجرة وسار فى ممر طويل، يقع على جانبيه أبواب عدد من المعامل والحجرات، وفتح باب معمل، ومر منه، وأغلق الباب خلفه.

وما أن نظر إلى داخل المعمل حتى بهت، وعلا وجهه شحوب جعله كاد يحاكى وجوه الموتى، وتسمر فى مكانه شاخصا بناظريه فى ذهول إلى الرجل المتطفل الذى قابله فى الطريق فى الصباح الباكر، وقد وقف ينظر ألى كمال بثقة واعتداد شديدين، وعيناه مفعمتان بالإكبار والاحترام.

بعد هنيهات، أفاق كمال من ذهوله، وتحدث إلى الرجل فى شبه استجواب، فأدرك أن الرجل لديه قدرات خارقة تؤهله لأن يصل إلى مايريد فى لمح البصر، وزاد من دهشة كمال أن الرجل سبقه فى الدخول إلى المعمل، مما يشير إلى أنه لديه مفتاح المعمل، فتساءل فى

نفسه: " كيف حصل على المفتاح؟" غير أن كمال نفض عن ذهنه فكرة أخرى قر عزمه على أن يقوم بتنفيذها فى الحال.

لذا، غادر كمال المعمل، وأغلق الباب، وسار فى الممر بضع خطوات، فشعر بيد قبضت على كتفه الأيمن من الخلف، وضغطت عليه بقوة هائلة كادت تحطم عظامه، وكأن صاحب هذه القبضة الحديدية أراد أن يمنعه من الاستمرار فى السير، فتوقف وهو يحس بألم فى كتفه.

تقدم الرجل خطوة، ووقف قبالة كمال، وفى نبرات صوت اقترنت بالهزء والسخرية. قال:

- تريد أن تبلغ رجال الأمن.. لن يفيدك هذا.

حملق كمال إلى وجه إبليس فى دهشة وذهول، بينما ترك إبليس كتف كمال، ولاح عليه السرور والغبطة وهو يتأمل منظر كمال الذى استغرق فى التفكير. ثم قال إبليس بنفس اللهجة المنطوية على الهزء والسخرية:

- أنت تريد أن تعرف كيف توصلت إلى معرفة ما تنتوى أن تفعل..لاتعجب ياسيدى.. هذا شأنى وليس شأنك. لكننى سأخبرك.

وروى إبليس لكمال ماحدث بالتفصيل.

زادت دهشة كمال وتعجب لأن إبليس سوف يقضى معه بضعة أيام، فشعر بقشعريرة تسرى فى بدنه من

أخمص قدميه إلى قمة رأسه، وتجمد لسانه داخل حلقه، ولم يستطع أن ينبس ببنت شفة.

عندئذ قطع إبليس الصمت بأن قال بلهجة ذات مغزى خاص:

- إننى خادم يرعى مصالحك بضعة أيام مقابل أن تعلمنى شيئا من فنون الحياة وطبائع البشر، وكيف أرتقى بتفكيرى ليناسب تفكير إنسان العصر الحالى.

تمالك كمال شيئا من رباطة جأشه. وقال:

- سوف تجد ماتريد لدى أساتذة كليات العلوم الإنسانية والآداب.

قال إبليس فى توسل:

- إننى شديد الإعجاب بك وبعبقريتك. أرجو ألا تحرمنى هذا الشرف.

قال كمال فى شئ من الاعتداد:

- إننى أعلم الطلاب خصائص الأراضى الصحراوية ولا أعلمهم أصول الفكر المعاصر.. إذن دعنى وشأنى.

قال إبليس فى نبرات صوت ينطوى على الإنكار:

- كفى تواضعا أيها العالم الفيلسوف. ها أنا أتعلم على يديك أول درس من دروس أساليب الحياة المعاصرة، هوكيف تفسد التجارب العلمية لزميلك.

غضب كمال، وتحدث فى دفاع المستميت لينفى عن نفسه هذا الاتهام، فانتظر إبليس إلى أن انتهى كمال

من حديثه، وأخبره بأن لديه قدرات خارقة لايتمتع بها غيره من البشر، وهاله أن كمال ينظر إليه باستهانة واستهزاء، فاجتاحه الشعور بأنه قد أهين إهانة بالغة، وأنه يجب عليه أن يمحو هذه الإهانة، فقال بثقة:

- أرجو أن تكلفنى بأداء بعض الأعمال على سبيل التجربة والاختبار.

لاح الارتياح على وجه كمال، وفكر لحظة. ثم قال:

- أوافق بشرط أن تبدى لى من قدراتك هذه، مايستحق أن يجعلنى أضحى بوقتى وجهدى من أجله.

- أوافق.

شعر إبليس بفرحة غامرة لأنه صار على قاب قوسين أو أدنى من تحقيق هدفه، وظل واقفا فى مكانه فى صمت وترقب.

وبعد فترة قصيرة، كان كمال جالسا فى المعمل خلف منضدة فوقها حامل به بضع أنابيب اختبار بكل منها محلول بنفسجى اللون، وبيده اليمنى زجاجة بها محلول شفاف وضع قطرات منه بكل أنبوبة على الترتيب، وأعاد كل من الزجاجة وحامل الأنابيب إلى مكانه.

عندئذ صك سمعه تصفيق استحسان، فنظر ناحية الصوت، ووقع بصره على إبليس واقفا على بعد خطوات

خلفه ينظر إليه بإعجاب، فارتسمت على شفتيه ابتسامة تخابث، وسار متجها صوب الباب.

بعد قليل، وكان كمال جالسا وراء منضدة بحجرة مكتبه يقوم بإجراء إحدى التجارب، اهتزت المنضدة فجأة، واهتز كل مافوقها من أجهزة وأوانى زجاجية، وأخذت المحاليل والسوائل داخل هذه الأوانى تتمايل وتهتز كأنها ترقص على ذات الأنغام، ونتج عن تصادم بعضها بعضا أصوات مختلفة، بينما كان كمال يحملق إلى الأوانى والأجهزة فى ذهول، وقد توقف عقله عن التفكير.

بعد لحظات، تمكن كمال من أن يستعيد شيئا من قدرته على التفكير، وهداه تفكيره إلى أن السبب حدوث زلزال قوى، فنهض قائما من مكانه، وأراد أن يخرج ليستطلع الأمر، غير أنه أحس بدوار شديد جعله يشعر كأن الأرض تميد تحت قدميه، واهتز وتمايل وهو يسير متجها صوب الباب، وعندما شعر بأنه لن يستطيع أن يحفظ توازنه، ارتمى على أقرب مقعد، وجلس متهالكا، لكن المقعد سار على أرضية المعمل، ودار حول المنضدة، وأخذ كمال يطوح بيديه وقدميه فى الهواء، ويريد أن يمنع المقعد من الحركة، وعندما أخفق انتابته حالة من الخوف والرعب، وصاح فى استغاثة طالبا النجدة، ولكن دون جدوى.

ثم بلغ أذنى كمال صوت ضحكات هزء وسخرية، تردد صداها فى أنحاء المعمل، وأخذ يرتفع صوتها تدريجيا، فأدرك ان هذا الزائر الغريب يستعرض جزءا من قوته، فتسرب إلى نفسه شئ من الطمأنينة، ونظر إلى مصدر صوت الضحكات، وقال فى صوت واهن:

- كف عن هذا المزاح الثقيل أيها الزائر، فقد نجحت فى أول اختبار.

عندئذ، توقف المقعد عن السير، وظهر إبليس، ووقف قبالة كمال فى خيلاء وزهو ورجاه أن يكلفه بعمل، فأمره كمال بالتريث، وذهب إلى مكتبه، وجلس على المقعد، واستغرق فى التفكير.

نظر كمال إلى إبليس، فأتى إليه فى الحال، ووقف قبالته فى ترقب. فقال كمال:

- اذهب إلى حجرة عميد المعهد، وافتح أول درج على اليمين، ستجد ورقة مدونا بها أسماء من وقع عليهم الاختيار ليكونوا رؤساءا للأقسام، أريد أن تكتب اسمى بدلا من اسم من اختير رئيسا للقسم الذى أعمل به.

اختفى إبليس فى الحال، وعاد كمال إلى إجراء التجارب التى كان يقوم بإجرائها.

ثم ذهب د. شفيق إلى مكتب شئون العاملين لاستلام خطاب التعيين لوظيفة رئيس قسم، فهنأه الموظف على

المنصب الجديد، ورجاه أن يكتب إخلاء الطرف من عمله قبل انتهاء مواعيد العمل الرسمية، وأن يتسلم عمله الجديد صباح الغد.

تسلم د. شفيق خطاب التعيين بسرور بالغ، وما أن وقعت عيناه على الاسم حتى اربد وجهه، وثار ثورة عارمة من شدة الغضب، واتهم عميد المعهد بانه فضل عليه كمال عبد الستار، وعينه رئيسا للقسم بدلا منه، لأنه يريد أن يزوجه لابنته، وشكا الأمر إلى رئيس الجامعة، فرفع الشكوى إلى الجهات المسئولة لتتولى التحقيق فى الأمر.

وفى التحقيقات تمكن إبليس من تبرئة ساحة كمال، وأقنع أعضاء مجلس إدارة المعهد بانتخاب كمال رئيسا للقسم بسبب الأضرار النفسية والمادية التى سوف يصاب بها إذا عزل من هذا المنصب، فاستولى على كمال الشعور بالسرور، وشعر بأن الدنيا دانت له، وأنه يستطيع أن يحقق كل ما يصبو إليه.

وقد انتقلت عدوى ذلك إلى إبليس، وكانت فرحته أقوى لأنه أوشك على الانتهاء من تنفيذ حكم المحكمة، وتفاقمت فرحته عندما أبلغته الجهة المسئولة بقرار الإفراج عنه.

لذا، ما أن التقى بكمال حتى أخبره بأنه سيتركه ويذهب إلى ذويه، فغضب كمال أيما غضب، لكنه تمالك

السيطرة على أعصابه، وتوسل إليه أن يمكث بضعة أيام أخرى، فرفض إبليس.

عندئذ، قال كمال بتوسل:

- أرجو أن تحقق لى مطلبا أخيرا.. هو أن تحضر لى ثلاثة أبحاث من درج مكتب د. شفيق أشترك بها فى المؤتمر الدولى لبحوث الصحراء.

تجهم وجه إبليس فجأة، وقال باحتداد:

- كفى ما حصلت عليه.. مهمتى انتهت، وأريد أن أعود إلى أهلى وعشيرتى.

واختفى فى الحال تاركا كمال يحدق إلى الفراغ أمامه فى ضيق وذهول.

وأفاق كمال من شروده على رنين جرس الهاتف المحمول، وكان على مقعد قريب، وعندما تناول كمال الهاتف، ورد على المتحدث، بلغ أذنيه صوت زميله د. بهاء عند الطرف الآخر للخط يسأله عن الصحة والأحوال، ثم قال:

- رئيس القسم الجديد سأل عنك أمس فى الاجتماع.

- من؟

- د.شفيق عبد الهادى.

ممنوع الكذب

فى هذا الوقت من المساء، لم يكن النهار قد جذب آخر خيوطه ليترك مكانه لليل، ليبسط رداءه على كافة الأرجاء، قادت د. جنات السيارة فى شارع ترعة جزيرة بدران، وعلى المقعد الأمامى إلى جوارها جلس حامد يفكر فى صمت وسكون.

انعطفت السيارة يمينا، وسارت عدة أمتار فى شارع كورنيش النيل، وبينما حركت د. جنات عجلة القيادة لتعبر الطريق. قالت:

- أجمل مافى هذا الكازينو إنه على مقربة من العمارة.

هز حامد رأسه علامة على الموافقة، وسارت السيارة إلى الجانب الأيمن من الطريق، ووقفت بجوار الطوار أمام حديقة روضة النيل، وهبط حامد، ووقف ينتظر قدوم د. جنات.

بعد قليل، وكان حامد ود.جنات جالسين على مقعدين متقابلين تفصل بينهما منضدة صغيرة، وضعت

على شاطئ النيل، وتبعدهما عن مياه النيل مسافة لاتزيد عن مترين.

وكان حامد بين وقت وآخر ينظر إلى د. جنات فى تساؤل، وكانت د.جنات تعرف ما يريد أن يعرفه حامد، غير أنها تظاهرت باللامبالاة، وآثرت أن تتريث إلى أن يبدأ هو الحديث.

على حين غرة، تساءل حامد:

- ماذا فعلت مع أبيك بشأن هذا القادم الجديد؟

أجابت جنات بثقة:

- لاشئ.. لم أوافق على الخطبة. قلت لأبى إننى لن أفكر فى ذلك قبل حصولى على الماجستير.

لاح السرور على وجه حامد، وانتابه الشعور كأن انسكب فى جوفه دفقة من الشعور بالطمأنينة والسكينة، ورقص قلبه طربا بين ضلوعه، حتى كاد يقفز من مكانه من شدة الفرح والسرور،وجاشت فى صدره مشاعرحب عارمة، فرنا إلى جنات فى هيام. وقال:

- سأنتظر أسبوعا.. وأتقدم لخطبتك حتى لايعتقد أبوك إننا كنا على اتفاق.. لن تندمى على أنك فعلت هذا.

- أعلم ذلك.

وارتسمت على شفتى جنات ابتسامة رائعة زادت وجهها جمالا وتألقا، وأطرقت برأسها فى حياء.

عندئذ، تذكر حامد أن السهد والأرق لازماه طوال الليلة الماضية، وأن النوم خاصم عينيه، فأخذ يتقلب فى فراشه، وكأنه نام على فراش امتلأ سطحه بأشواك ذات أسنة مدببة حادة، تنغرس فى جسده وتؤلمه، وتجعل النوم يفر من عينيه.

وكانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة تقريبا، عندما ضاق حامد بالرقاد، ونهض قائما، وغادر الفراش، وأخذ يذرع الحجرة جيئة وذهوبا، وبدا كأنه ينتظر نتيجة أمر هام يتوقف عليه مستقبله، وأخذ يتمتم فى سره داعيا الله أن يوفق جنات فيما انتوت أن تفعل.

نظرت جنات إلى حامد، ورأته مستغرقا فى التفكير، فسألته عما يضايقه، فأجاب بأن لاشئ، وأخبرها لسان حاله بأنه مهموم، فلاذت بالصمت لأنها أدركت من حديثه بعد ذلك أنه يخشى أن يرغمها أبوها على الزواج من ابن زميله وصديق عمره، وهو طبيب ناجح لديه مستشفى استثمارى.

فى هذه اللحظة، ارتسم على صفحة خيالها أن إسراء زميلتها بقسم الجراحة العامة اكتشفت أن خطيبها المهندس يعمل سمسارا فى بيع السيارات المستعملة، فابتسمت عندما تذكرت أنها نصحت إسراء بأن تفسخ الخطبة.

لمح حامد شرودها وابتسامها، فسألها عن السبب، وأخبرته بما دار فى خلدها، فانتزع من بين شفتيه ابتسامة، لكنه انتابه الشعور كأن دلوا مملوءا بالماء المثلج صب على رأسه فى دفعة واحدة فجأة، وكاد يرتعد من شدة الخوف، وألجمت المفاجأة لسانه، فأمسك عن الحديث، واستولت عليه الأفكار والهواجس، ولاح عليه السهوم.

فكر حامد، فهو مهندس نشيط بقسم المشروعات بوزارة الإسكان، وأن العمل الإضافى الذى يمارسه لم يكن إلا لزيادة دخله، وتحقيق طموحه فى الحصول على المال اللازم لإقامة شركة المقاولات الهندسية التى يريد إقامتها، وعندما لم يوفق فى الحصول على عمل مناسب اضطر إلى القيام ببعض عمليات السمسرة فى بيع الأراضى والعقارات، لقد أقنع حامد نفسه بأنه لن يستمر فى هذا العمل طويلا، لذا، أخفى حقيقة عمله الإضافى عن الجميع حتى لاتتسرب كلمة من أحد أفراد أسرته إلى أسرة جنات التى تقيم فى شقة بنفس العمارة التى تقيم فيها أسرة حامد، وقد ربطت بين أفراد الأسرتين أواصر صداقة وروابط ود ومحبة منذ أكثر من ثلاثين عاما.

نفض حامد عن ذهنه هذه الأفكار، وتمالك السيطرة على رباطة جأشه. وقال:

- مؤكد أنه لديه أعذارا.

قالت جنات فى شئ من الاحتداد:

- لاتوجد أعذار تبرر موقفه. هل يفخر والدها بأن ابنته الطبيبة الناجحة متزوجة من سمسار يبيع السيارات القديمة؟!

فأجاب حامد متظاهرا بشئ من الاستنكار:

- لا..لا..لايصح هذا.

وفكر لحظة. ثم أردف:

- دعك من هذا ولنتحدث فيما يهمنا.. موضوع الخطوبة.

- ليكن.

•••

بعد قرابة عام، قاد حامد سيارته فى شارع شهاب بحى المهندسين، وجنات جالسة إلى جواره تتأمل منظر عمارة حديثة البناء، تقع على الجانب الأيمن من الطريق فى سرور وغبطة، وكان حامد يصف لها المكان بكلمات مقتضبة، بينما أخذت سرعة السيارة تتناقص إلى أن وقفت أمام باب العمارة.

وبعد أن انتهت جنات من الفرجة على الشقة، استوقفها حامد فى الردهة على مقربة من الباب، وتامل التعبيرات التى ارتسمت على ملامح وجهها بسرور بالغ،

وكانت بيده ورقة وضع عليها مفتاح الشقة، وقدمهما إلى جنات. وقال بمرح:

- أهدى إلى حبيبتى عقد الشقة والمفتاح.. أريد لأفضل طبيبة أن تقيم أفضل مركزطبى فى الحى.

شعرت جنات بالدهشة لوقع المفاجأة، ولم تستطع أن تصدق نفسها، وأرادت أن تعتذر لحامد عن قبول الهدية، لكن حامد أسكتها بإشارة من يده. وقال:

- لست أقل مهارة من الطبيب الماهر ابن زميل أبيك.. لكن أرجو ألا تنسى المرضى الفقراء.. نذهب غدا إلى الشهر العقارى لتسجيل العقد. والآن.. هيا بنا.

واتجه صوب الباب، وتبعته جنات كالمنومة، فخرجا من الباب، وأغلقت جنات باب الشقة خلفهما وهى تبتسم فى سرور.

بعد شهور، اتسعت أعمال حامد وقام بكثير من العمليات الناجحة التى أدت إلى زيادة دخله، فشعر بالرضا عن نفسه، غير أن شعوره بالخوف من أن تكتشف جنات حقيقة عمله لم تفارقه، فظل حريصا على إخفاء أموره عنها.

لكن فى أحد الأيام، كان حامد واقفا على مقربة من باب عمارة منتظرا مجئ الممثلة الشهيرة علياء صبرى، وكانت تحكم إغلاق أبواب سيارتها، وحانت منه التفاتة

إلى ناحية من الشارع، ووقع بصره على جنات تسير على الجانب الآخر من الشارع، وعندما أبصرته عبرت الشارع بسرعة، وذهبت إليه، وقد توجت شفتيها ابتسامة لم تستطع أن تخفى ما لاح على وجهها من آيات الدهشة والتعجب، وأرادت ان تستفسر منه عما أتى به إلى هذا الشارع.

لكن علياء سبقتها فى الوصول إلى حامد، ووضعت يدها اليمنى على ذراعه الأيسر. وقالت:

- هيا بنا ياحضرة المهندس.. أخشى أن أتأخر على ميعاد التصوير.

استدار حامد واتجه صوب باب العمارة بسرعة، وقد استندت علياء إلى ذراعه، ولم يستطع النظر إلى جنات التى وقفت تنظر إليهما وهما يدلفان من باب العمارة، ويتجهان صوب المصعد فى غيظ وضيق شديدين، ثم غادرت المكان وقد قر عزمها على أنها لاتتحدث إلى حامد، إلا بعد أن يفسر لها ماحدث، غير أنها ما لبثت أن تذكرت أنه يحتمل أن ينشئ لها أحد الأبنية فتبدد الكثير من غيظها وغضبها.

وما أن انتهى حامد من عملية بيع الشقة لعلياء حتى عاد إلى منزله، لأنه فى ذلك اليوم كان فى أجازة من عمله، وقد أضناه التفكير طوال الطريق فيما يجب أن

يفعل ليعتذر إلى جنات، فقد اتصل بها مرارا ولم يتلق إجابة، وعندما ألح فى طلبها أغلقت الهاتف المحمول، فأدرك أنها أساءت فهمه، وأنه ينبغى أن يوضح لها حقيقة الموقف.

وكانت الساعة قد تجاوزت السابعة مساء بقليل عندما ضغط حامد على زر جرس باب شقة د. أديب، وما أن فتحت أم جنات الباب حتى بادرها حامد بالسؤال عن جنات، وأخبرها بأنه يريد استشارة طبية لأنه جرح أثناء العمل.

عبرت أم جنات عن ضيقها بما حدث له، وتمنت له أن تكون العواقب سليمة وهى تقوده إلى حجرة المعيشة، ودعته إلى الجلوس، وذهبت إلى جنات فى حجرتها لتخبرها.

أخبر حامد جنات بانه اصطحب علياء إلى العمارة ليتوسط لها لكى تشترى شقة، وتحدث إلى جنات عن طبيعة العمل الإضافى الذى يمارسه لكى يزيد دخله، فانتاب جنات شئ غير قليل من الطمأنينة، وتساءلت:

- لماذا أخبرتنى بأنك تعمل بشركة مقاولات؟

شعر حامد بشئ من الارتباك. وأجاب:

- علمت مدى حرصك على المظهر الاجتماعى، وأشفقت من أن يؤثر ذلك على علاقتك بى، خفت أن

تتركينى وأنت تعلمين مدى حبى لك، وتعلقى بك منذ صباى.. إننى لاأستطيع أن أحيا بدونك.. حرصى عليك ياجنات جعلنى أكذب.. لكننى أقسم لك...

لم يكمل حامد عبارته لأنه تغلب عليه انفعال شديد، وانتابه الشعور كأن شيئا أمسك لسانه ومنعه من النطق، فساد الصمت برهة، وأرادت جنات أن تستحثه على الحديث. فتساءلت:

- علام تقسم؟

أجاب حامد:

- أقسم لك إننى لن أستمر فى هذا العمل بعد أن يصير لدى المال الذى يكفى لإقامة شركة المقاولات الخاصة بى. إننى جمعت مبلغا لابأس به.. لكنه يكفى ليعيننا على أن نعيش فى مستوى معيشة مناسب. وسوف أعمل لأجمع المزيد.

لمس هذا الحديث وترا حساسا فى نفس جنات، فشعرت بشئ من التأثر، وأدركت أنه صادق فى كل ما يقول. فقالت:

- لم أعلم أنك اصطحبت علياء بدافع العمل.. ظننت أنك على صلة بها وتخدعنى وتتظاهر بأنك تحبنى.. وربما كنت...

- كنت ماذا؟

- ربما كنتما متزوجان زواجا عرفيا أو شئ من هذا القبيل، لقد كذبت علىّ ياحامد ولن أتحمل أن تكذب علىّ مرة ثانية.

أفعم صدر حامد بمشاعر شتى، امتزج فيها الشعور بالحب والخجل والتأثر والحنان، وكادت الدموع تطفر من عينيه، فأطرق ليخفى حقيقة شعوره، وقال فى نبرات صوت خفيض كانه قادم من أغوار بئر عميق:

- لن أكذب.

سحابة صيف

ازداد تكاثف الضباب على سطح مياه بحيرة قارون، وبدا كأن طبقة كثيفة من الجليد انتشرت على سطح مياه البحيرة، وانخفضت درجة الحرارة فى هذا الوقت من الليل، وكان سامح جالسا على صخرة ناتئة على الشاطئ، ينظر إلى مياه البحيرة فى حزن وسهوم، ولايبالى ببرودة الطقس، ولا بالظلام الذى انتشر حوله ولايبدده سوى أشعة قليلة وصلت إليه من الأضواء المنبعثة من فندق الأحلام المقام على الجانب الآخر من الشارع الموازى للشاطئ، ويملكه والد سامح.

بعد قليل، ذهب أسامة رئيس قسم المشتريات بالفندق إلى مكتب المدير للتوقيع على بعض الفواتير، وعندما لم يجد المدير، ذهب إلى الكافيتريا بالدور الأرضى، واتجه إلى مقعد، وجلس موليا وجهه صوب باب الفندق، ناظرا من حين إلى آخر إلى الباب فى ترقب واهتمام، وعندما نظر إلى الساعة فى معصمه، وألفاها تجاوزت الحادية عشرة بقليل، شعر بشئ من الضيق،

وفكر لحظة، ثم نهض من مكانه فى ضجر وسأم، وسار صوب الباب.

عبر أسامة الشارع بخطى متأنية واثقة، وسار ذاهبا إلى سامح، ووقف قبالته. وقال:

- لم أجدك بالمطعم، ولا بالكافيتريا، ولا بالمكتب، وعندما تأخرت حدست أنك هنا.. فى مخبأك المعتاد.

قال سامح فى نبرات صوت تشى بالحزن والضيق:

- قل إنك تريد أن تبرر تأخرك فى إحضار الفواتير.

فى هذه اللحظة، أدرك أسامة أنه يتحدث إلى مدير الفندق. فقال بجدية:

- متأسف ياسيادة المدير. أرجو أن توقع على فواتير المشتريات.

ومد يده اليمنى بالفواتير ليعطيها لسامح، فتناول سامح قلما من جيبه، وبدأ فى التوقيع على الفواتير، وعندما فرغ أعادها إلى أسامة، وسأله إذاكان يريد شيئا آخر، فرجاه أسامة أن يخبره بما حدث وجعله حزينا مكتئبا على هذا النحو، فاعتدل سامح فى جلسته، وقال بنبرات صوت عميقة كأنها قادمة من أغوار بئر.

- أليس من المحزن أن يكتشف الإنسان أن الفتاة الوحيدة التى خفق لها فؤاده ومنحها قلبه خدعته وكذبت عليه؟! خدعتنى تهانى ياأسامة، ماذا أقول لأبى

وأمى عندما يذهبان معى إلى أسرتها ليخطباها؟ هل أقول لهما إنهما يجب أن يخطبا لى فتاة منتمية إلى عصابة إرهابية؟!

ارتبك أسامة، وشعر كأن حجرا ثقيلا وضع على قلبه وكاد يمنعه من الخفقان، فلاذ بالصمت، واستغرق برهة فى تفكير عميق، فألحت على ذهنه عدة أسئلة، غير أنه سأل سامح عما جعله يعرف ذلك. فأجاب:

- لبنى صديقتها اخبرتنى بذلك. قالت إنهما تقيمان فى منزل واحد، وأنهما زميلتان منذ التحقتا بالمدرسة الابتدائية.

وأكمل أسامة:

- وكانتا زميلتين لنا بالمرحلة الجامعية.. على كل.. إننى لم أشعر بشئ من ذلك طوال أعوام الدراسة بكلية السياحة والفنادق. أعدك أننى سوف آتى لك بالخبر اليقين.. هلم بنا.

- هو كذلك.

نهض سامح قائما، وسار الاثنان ذاهبين إلى الفندق وهما يتحدثان.

وفى ذات يوم، انتهى أسامة من استلام بعض المشتريات، وذهب إلى سامح ليقوم بالتوقيع على الفواتير، وكانت لبنى جالسة على مقربة من سامح،

فتظاهر أسامة بالاهتمام، واتجه إليها وصافحها فى ترحاب مشوب بالتحفظ، ثم وقف قبالة سامح وقدم إليه الفواتير، وتبادل معه بضع كلمات أثناء التوقيع، ثم أعاد الفواتير إلى أسامة. وقال:

- لبنى تريد عملا لصديقتها صافيناز.. ما رأيك فى أن تؤدى العمل الذى كانت تؤديه تهانى؟

انتاب أسامة الشعور بالضيق والتعجب، لكنه كتم ما بنفسه ولم يجب، فقال سامح آمرا فى شئ من الاحتداد:

- أريد أن تعمل الآنسة صافيناز بالفندق.

- أمرك. سوف أوفر لها العمل المناسب.

ونظر إلى لبنى، وقال فى شبه اعتذار:

- يؤسفنى أن لدى أعمالا تضطرنى إلى الذهاب، بعد إذنك.

وغادر الحجرة، وفى طريقه إلى مكتبه ارتسمت على صفحة خياله صورة الفتاة السمراء الطويلة النحيلة التى لازمت صديقتها الأجنبية كظلها، ولم تكن تتبادل الحديث مع زميلاتها وزملائها إلا عند الضرورة القصوى، وكونتا معا فريقا أطلق عليه الطلبة "فريق العزلة".

مر على ذلك يومان، والتحقت صافيناز بعمل بالفندق، ولم ينس أسامة وعده لسامح، فذهب إليه فى

مكتبه بعد يومين آخرين، وأعطى له ورقتين ورجاه أن يقرأهما بتمعن، وجلس على مكتب أمام المكتب يراقب التعبيرات التى ارتسمت على وجه صديقه، والتى تسرب جزء منها إلى نفسه.

لاح السرور على وجه سامح، ونظر إلى أسامة. وقال:

- إذن ما قالته لبنى عن تهانى محض افتراء.. كذب الهدف منه أن أبتعد عن تهانى.

- نعم. وهاهى النتيجة.. تركت تهانى العمل، والتحقت صديقة لبنى بالعمل بدلا منها.

- حقا..هذا ماحدث.

فكر سامح لحظة، ثم تساءل فى حيرة، وكأنه يتحدث إلى نفسه:

- ماذا أفعل؟

لم يجب أسامة، ولاذ كل منهما بالصمت برهة شغل خلالها بالتفكير، ثم تناول سامح الهاتف المحمول من درج بمكتبه، وطلب رقما وأصغى لحظة. ثم قال:

- أرجو أن تعودى إلى عملك حالا لأن القسم فى حاجة إليك.

وبلغ أذنى سامح صوت تهانى من الطرف الاخر للخط تقول:

- لكن....

- لقد أخطأت وأريد أن أعتذر إليك.. إذا لم تأت غدا سأذهب إلى منزلكم بعد غد. وأحملك فى سيارتى وأوصلك إلى الفندق بنفسى.

ابتسم أسامة، ودنا من الهاتف بسرعة. وقال:

- وأنا سأرافقه.

وبلغ آذانهما صوت ضحكة انطلقت من فم تهانى. وقالت:

- سآتى.

فنظر كل منهما إلى الآخر فى سرور.

هروب

كانت الشمس تجمع آخر خيوط أشعتها الذهبية عندما كان سعيد يصعد الدرج على أطراف أنامل قدميه فى حرص وحذر، وكأنه يحرص على عدم إيقاظ نائم يستعصى عليه النوم، وكان ممسكا فردتى حذائه فى يده اليمنى بقوة، وحقيبة أوراقه بيده اليسرى.

ومالبث أن تضرع إلى الله فى سره لكى يوقر أذنى مالك العمارة حتى لايسمع وقع خطواته على الدرج الرخامى الأبيض الذى لمع كالبللور، وتفاقم حذر سعيد عندما بلغ الطابق الثالث، ونظر إلى باب شقة مالك العمارة فى رهبة وانزعاج، كمن يتوقع أن يخرج منه أحد الكائنات الأسطورية المفترسة، وينقض عليه فجأة.

فتح باب الشقة فجأة، وخرج مالك العمارة إلى الدهليز، وألقى على سعيد نظرة خاطفة جعلت سعيد ينكمش ويطرق برأسه فى خزى وخجل أثناء سيره، وقال بلهجة يقترن بها شئ من التعريض والاستهجان:

- ولذاك أشجع منك ياسعيد... إنهما لم يفعلا ما فعلت.

تسمر سعيد فى مكانه، وانتابه المزيد من الشعور بالخزى والخجل والضيق. وقال:

- إننى أعلم ذلك ياحاج مصطفى.. أرجو أن تقبل عذرى، إننى لم أتقاض راتبى.

تساءل مصطفى فى ضيق:

- إلام تستمر هذه الضائقة المالية التى نزلت بالشركة؟

أجاب سعيد:

- سمعت أن الأزمة سوف تنفرج بعد بضعة أيام.

ارتسمت على شفتى مصطفى ابتسامة سخرية، وبلهجة أكثر جدية.قال:

- اسمع ياباشمهندس سعيد.. ادفع الإيجار أو اترك الشقة.

كادت الدموع تنهمر من عينى سعيد، لكنه بذل جهدا كبيرا ليمنعها، فترقرقت فى عينيه دموع بدت كأنها لؤلؤتان شفافتان تغطيان عينيه وتشف عنهما وتكشفهما. وقال فى توسل:

- أرجوك ياحاج مصطفى.. أرجو ألا تغضب منى.. أنت تعلم جيدا أنك فى مقام أبى رحمة الله عليه، إننى

اعمل مهندسا بهذه الشركة منذ أكثر من عشرة أعوام.. ولم يحدث أن تأخرت عن دفع رواتبنا يوما واحدا. وكنت أدفع لك الإيجار بمجرد عودتى من الشركة.. لن يحدث شيئا إذا تحمل...

قاطعه مصطفى قائلا:

- كنت....

اجتهد سعيد لكى يسيطر على مشاعره. ثم تساءل:

- أين أذهب بزوجتى وأبنائى الثلاثة إذا طردتنى من الشقة؟

مست كلمات سعيد قلب مصطفى، وبددت قسطا كبيرا من ضيقه وغضبه. وقال:

- أنا غاضب منك ياسعيد.. أخاف أن...

- لاتخف.

وكاد يرتمى على قدمى مصطفى ويقبلهما، غير أنه تمالك زمام نفسه، واكتفى بأن يقول فى استعطاف:

- سأفعل ماتعودت أن أفعل طوال الأعوام السابقة.. لاتغضب منى..أرجو أن تسامحنى.. إننى سوف أقبل رأسك حتى لاتكون غاضبا.

ومال سعيد على مصطفى يريد أن يقبل رأسه، فلمس الحذاء وجه مصطفى، فحاول ان يتملص من سعيد فى اشمئزاز وغضب أشد، وصاح بضيق:

- ابتعد عنى ياسعيد. ابعد هذا الحذاء.

ومسح وجهه براحة يده اليمنى، عندئذ، فطن سعيد إلى أن الحذاء مازال فى يده اليمنى، فتراجع إلى الخلف خطوة، ولبس الحذاء وقد ازدادت همومه، وسار فى الدهليز بتثاقل إلى الدرج ليصعد، وتابعه مصطفى بناظريه فى دهشة وحيرة، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة هزء وسخرية.

صعد سعيد فى الدرج، وهو يفكر فى ضيق، فتساءل فى نفسه: " ماذا أفعل لأتجنب لقاء هذا الرجل إلى أن تحل الأزمة؟".

وصل سعيد إلى باب شقته، وضغط زر الجرس برفق، ووقف برهة ينتظر، وما أن فتحت زوجته عزيزة الباب، ودلف منه، وسار بضعة خطوات فى الردهة، حتى أتى إليه ولداه أحمد ومحمود، وقد بسط كل منهما ذراعيه، يريد أن يحتضنه، ويقول فى سرور وغبطة:

- جاء أبى.

غمرت السعادة صدر سعيد، فنسى كل ما ينوء به قلبه من مشاعر الحزن والضيق، وكاد قلبه يرقص سرورا وطربا، واحتضن ولديه، وطبع قبلة حانية على جبين كل منهما، وتناول من حقيبته قطعتين من الشيكولاته، أعطى واحدة منهما لكل من ولديه، فشغل بها عنه.

رنا سعيد إلى عزيزة فى حنان، والتقط نفسا عميقا. وصاح:

- رائحة كرنب. مؤكد أننا سنتغدى به.

ارتسمت ابتسامة حانية على شفتى عزيزة. وقالت:

- طبعا. لقد طلبته منى أمس.

قال سعيد فى حنان وتأثر:

- هذا ما توقعته. أطال الله فى عمرك.

نظر محمود إلى أبيه وتساءل:

- أبى متى تشترى لى الدراجة التى وعدتنى بأن تشتريها؟

انتاب سعيد الشعور بأن الهموم قد عاودته بقوة أشد. فأجاب فى سهوم:

- التساهيل على الله.

صاح محمود باحتجاج:

- إننى كلما طلبت منك شيئا تقول التساهيل على الله. قل لى متى تأتى هذه التساهيل؟

أطرق سعيد برأسه، ولم يرد، ولاح الغضب على وجه عزيزة فصاحت:

- عيب ياولد... لاتكلم أباك بهذه الطريقة. دعه يستريح من عناء العمل.

ازداد غضب محمود. وقال:

- هذه مصيبة أخرى.

سار سعيد ذاهبا إلى حجرته فى تثاقل شديد، وكأنه يحمل على ظهره أطنانا من الحديد تثقل ظهره وتعوقه عن السير.

•••

عندما ارتفع رنين جرس المنبه فى الهاتف المحمول أسفل وسادة سعيد معلنا تمام الخامسة صباحا، استيقظ سعيد من نومه، وضغط على زر الهاتف، فتوقف الجرس عن الرنين.

جلس سعيد على حافة الفراش، ووضع قدميه فى الخف القابع على الأرض على مقربة من الفراش، وسار مغادرا الحجرة إلى دورة المياه، ولم يكن أحد أفراد أسرته قد استيقظ، فحرص على ألا يصدر صوتا.

وكانت الشمس ترسل أول خيوط أشعتها إلى الكون ليبدأ ظهور نهار يوم جديد، عندما خرج سعيد من باب الشقة، وأغلق الباب خلفه برفق، وهبط الدرج وهو فى أشد الحرص على ألا يصدر صوتا أثناء هبوطه.

وصل سعيد إلى فناء العمارة، فانتابه الشعور بالسرور والزهو لأنه استطاع أن يفر من مالك العمارة ومن مطالبته له بدفع الإيجار، لذا، سار منتفشا كالطاووس وهو يخرج من باب العمارة. ويسير فى ناحية من الشارع

متجها صوب محطة المترو.

فجأة لمح سعيد مالك العمارة قادما، فظل سائرا على الجانب الآخر من الشارع، وجاهد لكى يتوارى عنه، ولم يستطع.

إذ فوجئ بعد لحظات بمصطفى يقف قبالته، ويجعله يتوقف عن السير، وفى نبرات صوت اقترنت بالسخرية والتهكم. قال:

- إلى أين ياباشمهندس؟

انتاب سعيد الشعور بالارتباك، ولم يستطع أن ينبس ببنت شفة. فاستطرد مصطفى قائلا:

- الذهاب إلى الشركة بعد صلاة الفجر لن يعفيك من دفع الإيجار.

وأطلق ضحكة عالية، أودعها كل ما فى نفسه من سخرية واستهانة، وسار متجها إلى باب العمارة، تاركا سعيد فى حالة من الضيق والإحباط الشديدين.

أسطول

كان الليل قد أرخى سدوله على الكون، ولم يبدد الظلام الذى ران على شارع عبد الباسط حسن سوى الأضواء المنبعثة من المصابيح التى بالمنازل والحوانيت وأعمدة الإنارة، وكان الحاج صالح وولديه فاخر وجمال جالسين أمام منزلهم قرب نهاية الشارع، يقطعون الوقت بالحديث وإجراء المكالمات التليفونية، وقبعت على مقربة منهم سيارة الحاج صالح المرسيدس الحمراء اللون.

انطلق بغتة صوت جارهم سالم الزناديقى قائلا:

- أغلقت الطريق علىّ ياحاج صالح.. كيف تمر سيارتى الجديدة وقد أغلقتم الطريق على هذا النحو؟ اشتريت سيارتى بنصف مليون.

اتجهت أبصار الرجال الثلاثة إلى سالم فى دهشة وتعجب، ثم أرخى كل منهم عينيه، ولاذ بالصمت برهة، ومال فاخر قليلا، وهمس فى أذن جمال فى سخرية وبصوت لايكاد يبين. وقال:

- من أين أتى سالم بثمن السيارة؟!

رد جمال على شقيقه بالمثل. وقال:

- من الأرض التى بالصعيد، من العزبة التى سرقها من أحد الأشخاص هناك.

وأطلق ضحكة كادت أن ترتفع وأن يتردد رنينها فى أرجاء المكان. لكن فاخر وأدها وهى فى مهدها بإيماءة رقيقة، فكتم جمال الضحكة فى شئ من الخجل.

وبلغ آذانهم صوت سالم يقول فى نبرات صوت امتزجت بشئ من اللهجة الخطابية:

- إننى أتحدث إليكم.. فاستمعوا إلىّ.. سيارتى سوف تأتى... فكيف تمر فى الشارع وأنتم جالسون هكذا؟ الشارع ضيق.. وسيارتى ثمنها نصف مليون و...و...

استولى على كل من الرجال الثلاثة الشعور كأن الدماء تغلى فى عروقه، وأراد فاخر أن يذهب إليه، وأن يوسعه ضربا ولكما، لكن الحاج صالح منعه بإشارة رقيقة من يمناه، وجاهد ليتمالك السيطرة على أعصابه الثائرة، وعندما تمكن من ذلك إلى حد ما. قال:

- ماشاء الله.. مبارك عليك نتاج الأرض الجديدة... هذه هى الهمة حقا.. هذا أفضل كثيرا من بيع الكيروسين أو الحديد الخردة أو العمل لدى الآخرين.

ثار سالم، وكاد أن يفقد السيطرة على أعصابه من شدة الغضب، فأخذ يرغى ويزبد، ويكيل الاتهامات لصالح وولديه فى محاولة لاستفزازهم ودفعهم إلى الشجار، لكن صالح منع ولديه من أن يحققا غرض سالم.

بعد فترة وجيزة، تناهى إلى أسماعهم صوت سالم يقول:

- لن أدعكم تجلسون هذه الجلسة مرة أخرى، إنكم تعوقون المرور، لستم مثلى.. يجب أن تعرفوا من أنا.

واندفع بسرعة عائدا إلى منزله وهو يغمغم بكلمات مبهمة، وبصوت لايكاد يبين، وأغلق الباب بقوة.

فى صباح اليوم التالى، بعد أن انتهى صالح من ارتداء ثياب الخروج، وقف أمام مرآة منضدة الزينة بحجرته يلقى نظرة أخيرة على مظهره، ثم تناول حقيبته من على المشجب، وغادر الحجرة.

فتح صالح باب المنزل، وهاله أن رأى صفا طويلا من السيارات المختلفة الأشكال والأحجام، فوقف عند الباب برهة يحملق إليها فى دهشة.

وعندما استفاق من ذهوله ودهشته، نظر إلى مكان سيارته ولم يجدها، فخرج يبحث عنها فى هذا الصف الطويل من السيارات الواقفة فى الشارع، وكان بين كل سيارة وأخرى شبكة كبيرة على هيئة نسيج عنكبوت من

حبل قوى متين صنع من لوف النخيل، وتربطها بالسيارة حبال من النوع ذاته، وعلى مقربة من كل سيارة وقف سائقها فى انتباه، كأنه جندى فى انتظار أمر من قائده.

وعندما انتهى صالح من فحص جميع السيارات دون أن يجد أثرا لسيارته، ارتمى على الأرض يبكى وينتحب فى حرقة.

وكان سالم يمر على السيارات، ورأى صالح فى هذه الحالة من الحزن والانكسار والشعور بالضيلع وهوان الشأن، فوقف على مقربة منه يقلده فى سخرية وشماتة لحظة، ثم انصرف لحال سبيله.

ثم تمالك صالح قدرا من السيطرة على أعصابه، وذهب إلى قسم الشرطة للإبلاغ عن الحادث.

وبعد أن استدعى سالم للتحقيق معه وانتهى التحقيق، وعاد إلى منزله برفقة المحامى الذى صحبه أثناء التحقيق، نصحه المحامى بأن يخفى هذه السيارات حتى لايصادرها رجال الشرطة.

بعد إمعان فكر، جمع سالم السائقين وأمرهم بأن يقود كل منهم السيارة، وحدد لكل منهم الوقت والسرعة المناسبين، وحرص على أن يتم تنفيذ أوامره بالحرف الواحد، وكانه قائد عسكرى يقود جنوده فى معركة حربية يتوقف عليها مستقبل دولة.

وعند نقطة مرور (.....) استوقف رجال الشرطة جميع السيارات المتجهة إلى الإسكندرية، ووقفت سيارة سالم الجديدة، وبداخلها سالم فى أول الصف، وعندما جاء دوره فى دفع الرسوم المقررة على كل سيارة، أخرج سالم من جيبه رزمة أوراق مالية، ودفع الرسوم المقررة على سياراته، وانطلق بها وهو لايكاد يصدق نفسه من السرور والغبطة والزهو.

أوراق صحف قديمة

كان الليل يجمع سدوله، تاركا المجال لضوء النهار الوليد لكى يلقى على الكون دفقات من الضوء ,تحل مكان ظلام أخذ ينقشع على دفعات تختفى من حين إلى آخر، وكان المطر يهطل غزيرا كأنه سيل تنقض مياهه بقوة على الكون، وكأنها تنساب من فوهات خراطيم، وتندفع لتزيح بعض ما يقع فى طريقها من غبار وأشياء خفيفة.

وكنت فى هذه اللحظة أوشك أن أغادر منزلى بشارع من شوارع حى روض الفرج، لأذهب إلى عملى بشركة مقاولات بالمهنسين، فوقفت أرقب هذا المنظر بالنظر من خلف زجاج النافذة فى حجرتى وأنا أفكر فيما ينبغى علىّ أن أفعل، وكان صوت الرعد الناجم من اصطدام بعض تجمعات من السحب مع بعضها الآخر، يصل إلى أذنى، ويزيد من حيرتى.

وكنت مرتبطا بمواعيد مع عدد من عملاء الشركة اتصلت بهم وأدركت انهم لن يتخلفوا عن الحضور، فقر رأيى على أن أتريث قليلا، ووقفت الإرادة الإلهية إلى

جانبى وعاونتنى فى الوقت المناسب، فتوقف هطول المطر بعد فترة وجيزة.

ودفعتنى برودة الطقس إلى أن أكاد اهرول فى سيرى، رغم ما ارتديت من ملابس ثقيلة كادت تثقل كاهلى وتعوقنى عن السير فى طريقى إلى محطة المترو.

وحانت منى التفاتة إلى الطريق أمامى على مسافة غير قصيرة، فوقع بصرى على شئ قاتم اللون يسير متجها نحوى، وأمعنت النظر إليه، وتخيلت أنه طفلة رشيقة فى حوالى الرابعة من عمرها، مرتدية ثوب قصير ذو كرانيش، وأخذت تهرول فى سيرها وفق نظام خاص يجعل الكرانيش تهتز بانتظام كأنها ترقص مع حركة قدمى الطفلة أثناء سيرها، وتجاوبت حركة الثوب مع حركة الشعر الذى جمع على هيئة ذيل حصان على كل جانب من جانبى رأسها، وانسدل على أذنيها.

نال إعجابى هذا المنظر، وبدا لى كأنه لوحة أخذت تزداد وضوحا بمضى الوقت لأن كلا منا سار تجاه الآخر، فتباطأت فى سيرى، وشغلت ذهنى بالتفكير فى صاحبة اللوحة، وسألت نفسى عما جعل هذه الطفلة تغادر منزلها فى هذا الوقت من الصباح، وحصلت على إجابات عديدة من المحتمل أن يكون أحدها سببا لكى تغادر الطفلة منزلها.

وصلت فى سيرى إلى مفترق طرق، وأردت أن أنعطف إلى الشارع الذى تقع به محطة مترو الأنفاق، ودفعنى حب الاستطلاع إلى أن أنظر إلى الطفلة، وكانت قد اقتربت كثيرا من مكانى، فتوقفت عن السير علنى أعرف الحقيقة بنفسى.

وبعد دقائق معدودات، كنت أحملق إلى الشئ المتحرك فى دهشة، فقد ألفيته كلبا كبير الحجم أسود اللون حمل بين فكيه القويين حقيبة كبيرة من النايلون الأسود ممتلئة بأنواع مختلفة من المخلفات، فازددت تعجبا ودهشة، واستأنفت سيرى فى حيرة.

صدر للمؤلفة

١- الأرنب المغرور (مجموعة قصصية للطفل)
٢- غرام عطية (مجموعة قصصية للكبار)
٣- عدلات هانم (مسرحية فكاهية من ثلاثة فصول)
٤- غرباء ولكن (مسرحية فكاهية من ثلاثة فصول)
٥- عبر الهاتف (مجموعة قصصية للكبار)
٦- حقيبة سمير (قصة للطفل)
٧- الأرنب شرشر (قصة للطفل)
٨- صورة فى إطار (مجموعة قصصية للكبار)
٩- وعود الحب (شعر بالفصحى)
١٠- همس الربيع (شعر بالفصحى)

المحتوى

مطاردة 5
ذكرى 13
حب لا يموت 23
عند الكيلو ٢٦ 35
خيانة 45
خديعة 55
زيارة 65
ممنوع الكذب 77
سحابة صيف 87
هروب 93
أسطول 101
أوراق صحف قديمة 107
صدر للمؤلفة 110